الميراث

للشاعر

خالد الجرنوسي

باكورة مختارة من الشعر القصصي الذي
قدمه الشاعر خالد الجرنوسي إلى مجمع
فؤاد الأول ونال به جائزة المجمع في المباراة التي
عقدت عام ١٩٥٢

الطبعة الأولى

ابريل سنة ١٩٥٤

obeikandl.com

obeikandl.com

يارب إنك غافر ذنبي ، مهما فعلت .. وساتر عيبي

وأنا الجرىء عليك .. أطمعني ، في العفو .. أنك قابل التوب

obeikandl.com

مُقَدِّمَة

وكانت الندوة الشهرية التى يحييها خالد ترقص بشراً وتميد ازدحاما ، وانطلق كل من الشعراء يلعب مقطوعته بصدد إنتصارات السودان . وتدفق خالد بين هذه الأنغام المشرعة فرحاً صافى المنبع .. وكانت فى فمه ابتسامة ، ولـكنها كانت تغالبه كما لو كانت تأبى عليه أفكاره لحقيقة يخفيها فى صدره العميق ، ومن ثم قفزت إلى عينه دمعة مكرهة على الفرح بادية الثورة، تترجم عن خالد فى الانسانية .. كظم الرجل الأسى فى روحه حتى لايغلب بشر الجمع ويشوه للسامعين نشوتهم . وترامت إلىَّ الحقيقة التى تغلى فى أعماقه وإن كان قد إستبد وبطش بها : لقد توفى (طه) شقيقه الصديق العزيز .. ولم أدهش لمغالبته الحزن بقدر مادهشت عندما عاتبته فى ذلك فقال : مأتم أخى جزء من الشعر .. فقلت نعم الشعر رسالة إنه مسئولية والتزام .. وهنا تيقظت لإنسانية صديقى .

وحدثنى فيما سمر بيننا من ذكريات أنه كان قد أعد رثاء لرجل من رجال الوطنية فى مطلع الثورة الأولى وركب القطار إلى القبة ليقوم بفرض حتمى على شاعر شغل بالوطنية ورجالها والتفت خالد من نافذة القطار فوجد موكب الجنازة قد تحرك وأدرك أنه لو انتظر وصول القطار لما أدرك الواجب .. فكان أن ألقى بنفســـه من القطار على الأرض .. وكان أن أصيب فى وجهه وجسمه . وكل هذا لايهم خالداً

وإنما الذى يهم أنه قام بواجبه بين رثاء المعزين له فقلت : ولماذا فعلت بنفسك هذا ! فقال : لا أدرى لماذا كان ذلك ، ولكنه كان جميلا فى نظرى . وهنا تيقظت لفناء خالد فى رسالته .

ولعلنا لو ألقينا بعض الضوء على البيئة التى أنجبت هذا الشاعر وحاولنا الربط بينها وبين ما فى نفسه وشعره من إرادة وقدرة لا يصدر عنهما أقل مما صدر عنه من نماذج شعرية متكاملة وابتكار وتجديد فى دائرة الشعر .. إذ أن خالداً بلا مجاملة يتميز وينفرد باعتناق مذهب الملحمة الشعرية فى العربية على الإطلاق ، أقول لعل هذا الضوء يكشف عن جزء من وراثة خالد فهو يأتينا عن أب كان برتبة ضابط فى الجيش أيام أن كانت الجيوش ميدان البطولة والفروسية . ويمكننا أن نعلل ما فى نفسيته من روح القيادة التى تهيمن عليه فى كل حواسه فهو قائد بالسلب وبالايجاب .

وهنا أيضاً يمكننا أن نعرف الدافع الأساسى والباعث النفسى الذى حدا خالدا إلى اعتناق هذا الاتجاه الشعرى - إتجاه الملحمة - ولا أود أن أطيل فى موضوع هذا الفن ؛ إلا أنه مدرسة كاملة لتصوير البطولات وإبراز المثل العليا وتخليد الزعماء ومن ثم فهو مدرسة الشعوب ، ولعل هذا ما أتفق مع مزاج خالد فيه فهو يرى أنه طريق القيادة ووسيلة القائد الشاعر إلى النضج الروحى للشعب وهنا تتجلى لنا قيمة الموضوع الذى يعالجه صاحبنا بفنه .

أما عن مدى التوفيق الذى صادفه خالد فى ممارسة موضوعه فهذا مالا أود أن أتعرض له إلا بالقدر الذى يخصنى وإلا لكنت منهجيا

ملتزما كالتزام استخراج تحقيق الشخصية وكنت كمن يفتت النكتة الفنية ليفهم السر البلاغى فيها فيمزق معناها على مبناها وتطير روحها على نثار أكمامها .. ولكنى أسوق إليك تجربتى الخاصة وأثق من حكمك أيها القارىء فلم أكن أعرف خالدا قبل قليل وكنت إذا رأيت ملاحمه منشورة فى جريدة المصرى أنحى باللائمة على أصحاب الجريدة .. ولا أكذبك .. كان هذا الحكم جزافا دون تكليف لخاطرى بأن أتناول العمل الفنى متحديا فى ذلك وبلا أساس كل من كان ينحاز إلى ركن خالد . وظل هذا حتى قابلت خالدا وزف إلىّ بعض قصائده وملاحمه وقرأتها فعلا . فعدت إلى نفسى أحاسبها وصممت على الاعتراف أمامك أيها القارىء .. ها أنذا وأنت أمام سيد أحمد المعروف فى قريته ب (سد حمد) الريفى الذى أحب رقاصة وتزوجها .. وهذا خالد ينطق على لسان القرية التى لا تعرف إلا التقاليد الصارمة .. إلا الحقيقة التى لا تمحوها التوبة فيقول

وباع سد احمد الدنيا فضيع عندها الأخرى
لأن رقاصـــة تابت فما تابت لها ذكرى

وهكذا ينطق خالد وأحاسيسه وآلامه فى هذا النثار الشعرى الجميل فيخلق لنـــا الشخصيات خلقا جديداً يتناسب مع مقتضيات الأحوال والتطور ويلقى عليها ضوءاً من التحليل النفسى الدقيق رابطاً بين التصرفات الشخصية والقواميس الإنسانية العامة .. وما خلقه للشخصيات على هذه الصورة إلا وسيلة للتعرف على الآفاق النفسية للإنسان ومحاولة التقويم والإصلاح فما أبطال خالد فى ملاحمه إلا نماذج ومثل نضربها للشعب

وعلاوة على مافى الطريق من تجديد وابتكار وتمش بالقصة الشعرية مع طليعة القصة النثرية المعاصرة فإن خالدا يتميز بذوق بارع فى اختيار المواضيع وليس ذنب خالد أن ذوق الأمة ومزاجها الشعرى لازال حبيسا فى لذة البيت والفقرة والقصيدة، ولعل هـذا القصور يكون حكما لخالد لاعليه .

وإذا عدنا إلى شاعرية خالد وطاقته الفنية وجدناه مرتبطا بقانون التطور فهو يعيش سابقاً لأيامه بدرجة لاتفصله عنها فيكون شاذا فى عصره إنما هو فى الطليعة فعندما تحلى الشعر بالمعنى وباللفظ فى البيت صدر عن خالد مايرفعه فى ميدانه وعندما تحلى الشعر بالوحدة فى البيت كان كذلك وعندما تمسك الشعر بوجوب وجود وحدة فى القصيدة كان هناك خالد بل زاد على هذا أن جعل الوحدة أساساً فى تماسك العمل الفنى فقصائده وحدة متكاملة بحيث لو انهار جزء منها انهارت جميعا ، فخالد انطلاق لايعرف السدود ولا الحدود مطوع للمعانى والألفاظ . ولعلى لاأكون مبالغا فيما ذهبت إليه إذا علمت أيها القارىء بأن شعر خالد قد انتزع الجائزة فى الشعر القصصى سنة ١٩٥٢ من المجمع اللغوى برغم المجمع اللغوى .

ولعلى أختصر تاركا ورائى الكثير والكثير إلى فرصة أخرى فخالد أوجب الشعراء فى عصرنا هـذا بالدراسة مختتما قولى بأن شعر خالد خالق للذة الفنية والفكرية بدرجة قوية ملهمة فى ديالوج هادىء رفيق

يكاد يقرب من عذوبة الموسيقى ، شعر سلس رقراق منغم يكادينطق به السامع لولا استماعه فهو مشوق للغاية .

وإذا كان لابد من كلمة ونحن الآن بصدد معركة دائرة بين الاتجاهات الأدبية الفنية فليس من كلمة تقال إلا أن شعر خالد شعر قوى ذو أثر فعال فى خلق الروح القومية وابراز أفعال الإنسانية .

فمر عابرا فى هذا الديوان وسترى أن ماورد فى هذه الانسكابة لم يكن إلا طرف الخيط فاندمج واحكم أنت بنفسك ؟

صلاح الصاوى

نفحة

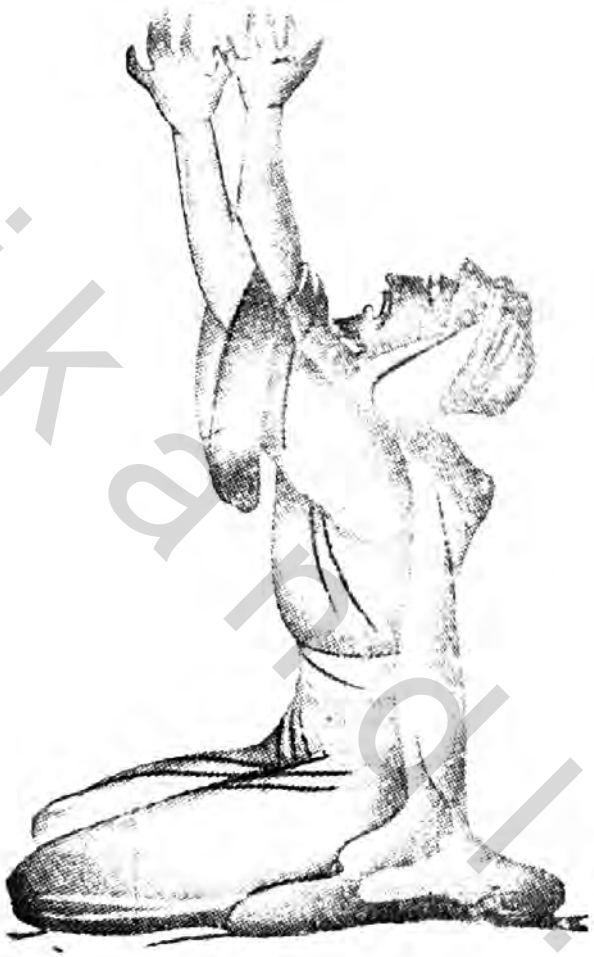

طافَ بالروضةِ الشريفةِ «أسلمْ» خائرَ العزمِ كالبناءِ المُهدَّمْ
يمسحُ السترَ باليدينِ ويبكي كالغلامِ اليتيمِ بَلْ هو أيتمْ
صائحاً والدموعُ باتت لِحاهُ «يارحيماً وما أظنُّكَ ترحمْ»
«ياحليماً وما أظنُّكَ تحلمْ»

obeikandl.com

ورآهُ فنى فأشفقَ منه إذ رآهُ هُناك يدعو فيأتمْ
قالَ ياشيخ . فى المقامِ وتدعُو دعوةَ اليأس إن ربك أرحمْ
أقتلتَ النُّفوسَ من غيرِ ذنبٍ قال ياليتَ . إن ذنبى أعظمْ
قال ياشيخُ . هل ظَلمتَ يتيما قال . بل إننى لأطغَى وأظلمْ
قال هل كنت قد فتكْت بعرض وتلذَّذتَ بالطعامِ المحرَّمْ
قال ياليت ، إننى جئتُ أمراً رَوِّع البيتَ والحطيمَ وزمزمْ ،
قال ياشيخ . هل كفرتَ بربٍّ إنما الكُفرُ فى الذنوبِ المُقدَّمْ
قال ، إنى فعلتُ أكبرَ منه ذنبُ إبليسَ من ذُنوبى أرحمْ ،
قال ياشيخُ ، رَحمةُ الله عمَّتْ كلَّ من غاصَ فى الذنوبِ وأجرمْ ،

* * *

إن فى زوزةِ النبيِّ غِياثاً وترابُ النبيِّ برءٌ وبلسمْ
قم فحدِّثْ بما فعلت لعلِّى بالذى قد فعلت أدرَى وأعلمْ
ربما كان ما فعلت يَسيراً ربما كنتَ جاهلاً تتوهمْ

* * *

قال . إنى شَهِدت قتلَ حُسينٍ حينما حلَّ بالعراقِ وخيَّم
فأخذنا الطريقَ طولا وعرْضاً وتركناهُ ظامِئاً يتألمْ
وسيوفُ اليزيدِ تنهل منه وهو بالسيفِ ضارباً يتقدَّمْ

لم أجدْ فى الوجودِ أشجعَ قلباً ... من حُسينٍ ولا أعز وأعظمْ
طاحَ أنصارُهُ وبعض بَنيهِ ... وهو كالطَّودِ شامخاً ليسَ يهزَم
ضَرَباتُ السيوفِ تأخذُ منه ... أخذَاتٍ وإنها تتحطم

* * *

والشهيدُ العظيمُ ينتظر الموتَ ويتلو من الكتابِ المعظم
عينُه للسماء تنظر للغيْب ... وما زالَ ثغرُهُ يتبسمْ
راضياً بالقضاءِ ليس بشاكٍ ... أحُسين من القضا يتظلم
ميتة للشهيد فيها حياة ... وسكوتٌ . . . لفتنة تتكلم
والسمواتُ بالرُّعودِ تدوِّى ... وهى فى سحمةِ الغراب وأسحم
باكياتٍ بدمعها صارخاتٍ ... وهى غضبى على الورَى تتجهم
والأُسارى، وزينبٌ، فى الأُسارَى ... مشهد قطّع القلوبَ ودمدَم
يا رحيما . . . وما أظنك ترحم
يا حليما . . . وما أظنك تحلم

* * *

وأنا قد حملتُ رأس حسين ... «ليزيدٍ» غنمتُ أشأمَ مغنمْ
ويزيدُ الأثيمُ ينكتُ بالعو ... دِ ثنايا الحبيب زهواً وينعم
يتشفى لمشركينَ ببَدر ... قتلوهم وهم حصيدُ جَهنم
نسىَ الدينَ والشريعةَ والعهْد وأمسى بعصبةِ الشرك يحلم

ثم مالَ الكرَى بعينى فنامت وضميرى به كسهم مسمَّمْ
وإذا بى أرى الحسينَ صحيحاً وعليه النبىُّ . . . صلى وسلم
قد شهدتُ الحسين جسما ورأساً لم يكَد رأسه يحزُّ ويفصم
وأرى مجلسَ النبوةِ ضمَّت حافتاهُ على الشهيد المكرَّم
من بنى هاشمٍ وآل علىٍّ والإمام الذى له الله كرَّم
ويقول النبى « قرةُ عينى يا حسينَ أأنت تُرمَى وتظلَم »!!

. . .

ورأيتُ الجنانَ . رؤية عينٍ تتلقاه . . فرحةً تترنم
والإمامُ الشهيدُ يخطر فرحا نَ كبدرٍ على جوادٍ مطهم
تتمنى الجنانُ لثم ثنايا مشرقاتٍ به ووجه ملثم
أُزلفتْ جنة وخفت جوارٍ من حواليه كالجمان المنظم

. . .

وإذا النارُ سعِّرت وأرانى فى رفاقى . . على حفافى جهنم
فى كلاليبَ من لظَى وسعير نترامى على الجحيم ونرجم
ويزيد إمامنا والبلايا نازلات على الشريس الغشمشم
كلُّ ملكٍ بناه بعد حسين عَلم الله . . لا يباعُ بدرهم
وأشارَ النبىُّ نحوى فأحسستُ بنار بمهجتى تتضرَّم
وأنا قد أفقت مثلَ طريدٍ شارد اللُّبِّ ذى ضميرٍ مقسم

لا أذوقُ المنامَ إلا غراراً وإذا نِمتُ زَالَتِ تتجسَّم

. . .

الفضاءُ الرحيبُ قد ضاقَ عنى وأنا فى إسارِ سُورٍ مُحكَمْ
أعجيب إذا سمعتَ مقالى يارحيما وما أظنك ترحم
يا حليما . . . وما أظنك تحلم

. . .

صرخَ السامِعُ الرحيم صُراخاً كالذى قد أحسَّ لدغة أرقمْ
ويلك . اخرُج من الحجاز لئلا تحرقَ البيتَ والمقام وزمزم

. . .

خرج الزائرُ الأثيمُ من الرو ضةِ يسعى كسعى أعمى وأبكم
هائماً كالبهيم فى رُقعةِ الأر ضِ وأشقى من البهيمِ وأبهم .

الفرحة الكبرى

كانت (زينبُ) بنتُ إسحاقا ... أحلى نساءِ الأرضِ إطلاقا
أمسى (يزيدُ) بجبهـا كلِفاً ... ولهـانَ ، فى الآفاق ، مشتاقا!!
ضاقت به الدنيا فما وسعت ... قلبـا طوى فى الحب آفاقا!!
لو كلفتْهُ ، نصـف دولته ... ما عـدَّه فى البذل إغراقا!!

* * *

obeikandl.com

ولرُبَّ حبٍّ كان قتّالا ... أمسى له هَمّا وأشغالا!
لما رآه أبوه قاتَلَهُ ... ألقى معاويةٌ له بالا!
وأتاه مغتما ، فقال له : ... لا تأسَ ، إن الهم قد زالا
اجنح إلى صبرٍ تلوذُ به ... إنى لأوشكُ أن أرى حالا

* * *

قد يبلغ الإنسانُ مأربه ... ما دامَ بالتدبير مُكْرِعا
وأنا الذى دبرتُ مملكتى ... وقرنتُ فيها الشاةَ والضبُعا
وأنا كفيلكَ وابنُ بجدتها ... ما فاتنى أمرٌ ، ولا امتنعا
فاصبر يزيدُ ، ولا تمت كمداً ... واصبر يزيدُ ، ولا تمتْ جزعا

* * *

وأتى بعبد الله صاحبها ... فأراه تعظيما ، وتكريماً
لم يدر عبدُ الله أن له ... غرضاً بذات الصدر مكتوما!
واغتر بالدنيا يقدّمُها ... حظّا ، لعبد الله مقسوما!
يارُبَّها شركا يُصاد به ... من كان بالسلطانِ مهموما!

* * *

قال الخليفة ، ما أرى أحدا ... إلاّكَ ، أولى بالولاياتِ!
إن العراقَ جعلتُهُ هبةً ... لأخٍ ، أحبَّ إلىَّ من ذاتى!
وليتك الأحكامَ عن ثقة ... فامضِ بها فى غير إعناتِ

وجعلت من قربكَ لى نسباً ... فاقرن بها ، إحدى كريماتى !

* * *

فاختال عبد الله فرحانا ... وأجاب ، إنىّ عبدُ مولانا !!
خيرتنى ، فاخترت جوهرةً ... حسناءَ ، فى تيجانِ سُفيانا !!
فلعلها إن خُيِّرت رضيَتْ ... طوباه .. يامولاى رِضْوانا !!
ورضيتَنِى أهلاً لمكرُمَةٍ ... فكسوتنى عطفا وإحسانا

* * *

قال الخليفةُ : قد مضى الأمر ... منى إليها ، وانتهى العذرُ
أمر الأميرةِ ، بات فى يدها ... ما كان لى نهىٌ ولا أمرُ
قالتْ : عظيم ! ! لستُ أنكره ... لكنْ له زوجٌ ، هى البدرُ
وأخاف ما تخشى النساء غدا ... من غيرةٍ هى وحدها الشرُّ

* * *

قال :(اشهدوا فأريبةٌ طالقتْ ... منى طلاقاً ، ماله رجعه)
ودعا بأشهادٍ فأشهدَهم ... ما خطَّهُ المسكينُ فى الرقعهْ
وأتى المدينة عنهمو خبرٌ ... هو وحدَه ، فى هوله بدَعَهْ
قالوا : (تحيَّنها معاويةٌ ... واحتالَ ، حتى نالها خدَعَهْ)

* * *

وأقام عبد الله لا امرأة ... أبقىَ ، ولا آماله نالا

بنت الخليفةِ عنه معرضة ... مأخوذةٌ ، غضبى ، لما قالا
قالت : (هو المطلاقُ يا أبتى ... إن مالت الدنيا ، به مالا
أفٍّ له ، قد باع زوجته ... لما أراد ، الجاهَ والمالا)

* * *

قال الخليفةُ : يا أبا الدردا ... ما أصدقَ التصريحَ والردا
باكر أريبَ فى مدينتها ... فاحملْ لها من مالنا عدّا
إنى رأيتُ يزيدَ يخطبها ... ليرد عنها الحزنَ والسُّهْدا
ما كنتُ أحسبُ أن صاحبها ... يقسو عليها ، هكذا عمدا

* * *

جاء المدينةَ ، وهى عامرة ... فيها الحسين السيدُ السندُ
فأتاهُ يسعدُ فى ضيافته ... ويزوره . والناسُ قد رقدُوا
وإذا الحديثُ يدور بينهما ... فيما له الركبانُ ، قد وفدُوا
قال الحسين بحق صاحبكم ... صلى عليه الواحدُ الأحدُ

* * *

إن جئتها فاذكر لها حسبى ... واذكر يزيدا ، كيفما شئتا
خيِّر أريب بيننا ولها ... فينا الخيارُ ، وحسبُنا أنتا
ولها من المال الذى رغبتْ ... فوق الذى من أجلهِ جئتا

(إني ائتمنتك فلتكن حكماً عدلاً ، فلا عِوجاً ، ولا أمتا !!)

* * *

قالت أرينبُ : لست قاطعةً أمراً ، ورأيك يا أبي أعلى
وأنا كبنتِك ، لست راضيةً إلا الذي ترضاه لي بعلا
قال (الحسينَ ! ولا أرى عوضاً عنه ، ولست أرى له مثلْ
ضمي الذي ضم الرسول ولا تخشيْ به لوماً ، ولا عذلا

* * *

هذا ، الذي ، من بطن فاطمةٍ جاءت به ريحانةَ الخلدِ
يمشي النبي له فيلثمه ويضمُّه ، خدا ، إلى خدِّ
أما يزيد ، فملكُ والدِه ضخمٌ ، وفيه ولاية العهدِ
قالت :(حسينٌ ! فهو لي عوضٌ عما فقدتُ . وعهده عهدي)

* * *

وأعيد ركبُ الشام منخذلا وإلى الحسينِ ، تناهت البشرى
عرسُ ببيت المصطفى جذلُ ومناحةٌ في الساحة ، الأخرى
إن المدينة كلها ابتهجت والشامُ يرسل دمعة حرّى
بيت النبوةِ ضمَّ جوهرةً مجلوةً ، كالفرحةِ الكبرى

* * *

جاءوا معاويةً بكارثةٍ لم يُغْنِ فيها عنه تدبيرُ

لاقى أبا الدرداء منفرداً وكأنه الحداد ، والسكيرُ
يغلى به غيظا ويشتمه وكأن فيه يفور تنُّورُ
ابعد بوجهك لا سفرتَ لنا واذهب فأنت اليوم مدحورُ

* * *

هذا وعبدُ الله مفتقر حيرانُ لا سالٍ ، ولا قالِ
وافى المدينة فى مُرقَّعَةٍ يشكو الزمانَ ورقة الحالِ
وأتى الحسينَ : فقالَ معذرةً يا ابن النبى السيدِ العالى
أودعتُ زوجكَ وهى لى سكنٌ مالا فهلا أرجعتْ مالى

* * *

قال الحسين : أرينبٌ ثقة فاسأل ارينبَ أنتَ عن مالِكْ
أدخُل عليها لستُ أحسَبها تقسو على العارين أمثالِكْ
قالت أرينب : حين ذكَّرها بالمالِ ، لا يخطرْ على بالِكْ !!
أنى أخون وديعتى أبداً خذها مغطاةً ، بأسمالِكْ

* * *

وعلا البكاء وفاض دمعهما وتطلَّعت عين إلى عين
يتشاكيان فِراقَ بينهما والبَين سورٌ بين قلبين
وإذا الحسينُ يجىء مبتسما كالبدر يمشى فوق جُرْحَين

فيقول : دارى اليوم دارُ كما فلتنزِلا فيها كزوجين

* * *

والله ما زوجتهـا نفسى إلا لتنجوَ أنت من بأس
إنى علمتُ بأنها شقِيَتْ وشربْتَ أنت مرارة الكأسِ
فأعدتها برًّا بصاحبها ونزلتُ عن زوجى وعن عرسى
لما مشى الشيطانُ بينكما ألقيت للشيطانِ بالدرسِ

obeikandl.com

سلمى يا

سمعت القافلة ، وهى فى طريقها إلى الواحات ، صراخا يمزق أستار الليل ، من قبر مفتوح ، فى مدينة الأموات ، الراقدة على شاطىء بحر يوسف ، حيث مزارات الشهداء ، بالهنسا الغراء ، . .

هنا ! بين دفعة الرذيلة ، ودفعة الفضيلة ، اندفع مبعوث العناية إلى القبر ليشهد الصراع بين الميتة التى حيّت ، والفاجر الذى عجز عنها فى الدنيا ، فأراد أن ينالها ، فى غيابة الموت !!

ورجع الرجل الشجاع ، إلى أهل القرية الحزينة ، وفى يده (سلمى) تعلن للملأ قيامة الأموات !! وشهامة الأحياء .

تجلى موكبُ الغيدِ لنا فى الريف والبيدِ
وفى البرجاس أفراسٌ لفرســـان أجاويدِ
عليها فتيـــةٌ مردٌ خِفاف كالعرابيدِ
وهذى قرية باتت منَ الأفراح فى عيدِ

* * *

عروس ما رأت عينى لها فى الحسن أشباها
أبوها السيد العالى على الإيمانِ زكاها
طهورُ الذيل زهراءٌ تصب السحرَ عيناها
كأنَّ اللهَ قومها على بدرٍ وسواها

* * *

ومر الموكبُ السامى مرورَ الكوكب الدرى
وفى أطوائِهِ سلمى تحاكى هالة البدرِ
وللفرسان . . ألعاب على التّلعابة السّمرِ
حديثٌ ذاك أم حلم مضى فى سالفِ العصرِ

* * *

وراح العرسُ والسامرْ وحلت بيتها سَلمى
ولكن حظها العاثرْ أحال زِفافها حُلما
أتاها موتها البا كِرْ فهدَّ الموت ما تملا
أتتها سكتة جرَّت على أفراحها الغما

كأن لم يمض برجاسُ كأن لم يحتفل أهلُ
وربع الزوج والناسُ وربع الجمعُ والشملُ
وبات البعلُ عباسٌ ولا رأس ولا عقلُ
كأن الخيل ما كرّت ولا زمر ولا طبلُ

* * *

ترابُ البهنسا الغرّا يضم اللوعة الكبرى
وفى رملاتها الحمرا ثوَت قدّيسة أخرى
على جُثمانِها النادى جثتْ تستقبل الطهرا
وحيتها . . مزارات لأهل الله فى الصحرا

* * *

وجاءَ الليلُ فاشتدت رِياح حولها تعوى
ومَدَّ الليل أستارا على الأمواتِ والبدوِ
وهاج الرّيح إعصارا أذاع الرُّعب فى الجوِّ
هنا فى هَجعةِ الدُّنيا فتى . من فوقها يهوى

* * *

فتى قد عاش مفتوناً يصون الحبَّ بالستر
فلمّا غُيِّبَتْ سلمى عن الأنظارِ فى القبرِ
جثا فى القبر مجنوناً وعرّى طلعة البدرِ
وإذ بالروح قد عادت كيوم البعث والحشر

فلما مسها ارتعدت وصاحت وهى تقصيه
ولما ضمها قعدت لتنشب ظفرها فيه
وضج القبر بالشكوى ودوّى كلُّ مافيه
وقالت أنتَ يا ربِّى لهذا العِرْض تحميه

. . .

وبعد هنيهةٍ مرّتْ على الأموات ركبانُ
إلى الواحات قد سارت وفى الركبان شجعانُ
ودوّى صوتها السارى فقالوا ذاك إنسانُ
تعالى الخالقُ البارى فكم للخيرِ أعوانُ

. . .

فتى كالسهم لبّاها يجيدُ الرّمى بالسهمِ
رَمَى الباغى ونجّاها وعادت فى يد الشهمِ
تعالى اللهُ مولاها وقاها نزْوةَ اللُّؤْمِ
وصان العرض والجاها ونجّاها من الإثمِ

* * *

وقال الشهمُ يا صحبى إلى واحاتكمْ هيّا
فإنّى عائد وحدى إلى أبياتها سعيا
وجرّ الثوبَ غطاها وكانت تستحى عُريا
فلما جاء أهليها أذاعوا فرحة اللُّقيا

وطافت دهشةٌ حَيرَى تجلت فى الكرامات
وطاف الشهمُ محفُوفاً بألوان الحفاوات
وسار الركب والحادى حديثاً للبَريات
فإن حدثت عن «سلمى» فقل بنتُ السموات

. . .

وقالت : يا أبى ردوا لهذا الشَّهم ما أدَّى
رأيتُ الناس لو عُدُّوا لما كانوا له نِدّا
وقانى كفَّ مفتون إلى أكفانىَ امتدا
فلو كافأتهُ زوجاً لما كافأتهُ فردا

obeikandl.com

تلك هى الجنية ، التى تمثلت لعثمان ، وبذلت فى هواه المستحيل ، لتحمله على أن يتزوجها . .

ولكن عثمان ! فر منها ، وما زال ممعنا فى فراره ، وهى تلاحقه ملاحقة الظل ، إلى أن وقعت الواقعة ، فاطمته اللطمة التى استغاث منها بحكومة الجن ، فقضت بأن تظل رهينة القيود . حبيسة الأصفاد ، أبد الآباد . .

على أن عثمان ، إنسان من جسد وروح . . وليس للخيال الشعرى من عمل إلا فى هامش الإطار الفنى . .

obeikandl.com

جنية قد صاحبت إنسياً ، توحى إليه بكرة وعشيًّا !
شُغِفت به تهواه لم تعدل به ، فيما تراه عيونها بشريا !
حدبت عليه كظله واسترسلت ، ترعاه ، يلعب فى التراب صبيًّا !
أبدا تطيرُ إليه فى أجوائه ، فيشم ريحاً فى سُراهُ زَكيا
ولقد يكونُ ومايخالطُ روضةً ، ولقد يكونُ ، ومايشاهد حيًّا !
من أين تأتيه الرياحُ كريمةً ، نفاحةً ، ترقى إليه رُقيًّا !

* * *

وينام عثمان كأن بحضنه ، شيئاً ، ولم يكُ ، قد توسَّدَ شيا !
عرضت له ، إماغدا فى خلوةٍ ، كالحور ، تاهت زينة وحليًّا !
وغدت تراودُهُ لتفتنهُ بها ، وغدا يجاهدها ، وراح عصيًّا !
ألهاه حبُّ الجنس عن إغرائها ، فكأنَّ أنثى تستميلُ نبيًّا !
أرأيت كامرأةِ العزيزِ وقد خلتْ يوما بيوسفَ تبتليه مَليًّا !
فيرى النجاة بنفسه وهو الذى قد كان يوماً بالنساءِ حَفيًّا !

* * *

ومشى على المصعاد ينقشُ لا يعى ، يبدى مِفنٌّ ، مشهدا مصريا !
ولقد سها عما يرى عن نفسهِ ، فهوى من البيتِ الرفيع هويًّا !
باللعنايةِ ! علقتـــه بثوبهِ ، ورثى القضاءُ له ، وكان عتيًّا !
وتعرَّضت . تلقاهُ ليلةَ بؤسهِ ، فتقول : إنى قد وَفيتُ فهيًّا !
لولا أنا ما كان ذيلك مغنياً ، فى يوم بؤسك عن حياتك شيا !

أو ماترانى فى هواك بذلتهُ ، جهداً أعيد به رضاك إليَّا !

* * *

فيقول : عثمانُ خسئت فلن أرى ، فضلاً لأنثى فى الحياةِ عليَّا !
اللهُ أنقذنى ! ولم يكُ غيرهُ ، ليردَّ عنى وعهدَه المقضيا !
رُدّى عليكِ الغىَّ ما أنا فاعلٌ ، أمرا أكونُ إذا فعلتُ غبيَّا !
إنى أقول غدا إذا استمرأتهُ ، هـذا الشقاءُ صنعته بيديَّا !

* * *

فتقول : مايدريكَ لو طاوعتنى ، أنْ سوف تصبحُ عن سواكَ غنيَّا !
الأرض تفتحُ إن فعلتَ كنوزها ، لتنالَ منها ظاهرا وخفيَّا !
والجاهُ أنتَ إذا فعلتَ تنالهُ ، والعيشُ تقطفُ من جناهُ شهيا !

آتيكَ بالأخبار تدهشُ أهلها ، لأصوغَ منكَ كما أشاءُ وليَّا
ولك المقامُ وقد تطاول للسها ، شرفاً ، ورفرف كالشموس بهيَّا
وأنا الى ، إن شئتُ كنتُ مليكةً ، تتوهجُ الدنيا ، وتشرقُ فيَّا !
وإذا مشيتُ اخضوضرت دنيا الورى وتلفعت زهرَ الرياض إنديَّا
أأبا علىٍّ . قد كفرت صنيعتى ، وأنا اتخذتكَ لى أخاً وصفيَّا
فلسوف أجرى فى دمائكَ لعنةً تدعُ الهوى من الحياة ذريَّا !
ولسوف أقتلعُ الجبالَ إذا غدت حصنا ، يطاولنى عليك قويَّا
ولسوف أنفذُ كالشعاع إلى الدنى ، لأجوسَ منها دانياً وقصيا !

فيقول : عثمانُ ! إذهبي عنى فما ... أنا من رجالك واخدعى جنيا!
نبئتُ أن أخا ، تزوجَ حرةً ، ... منكم فعاش مدى الحياة شقيّا !
زعموه بين العالمين موسوساً ؛ ... ودعوهُ فى النسب الكريم دعيّا!
وتمر أيامٌ فيعجز صاحبي ، ... عن أن يرى شبعاً ، ويعرف ريّا!
ويظن أن الله تاركهُ لكى ، ... يمسى ويصبح تائهاً منسيّا !
وإذا به يطوى الحياةَ على الطوى ، ... ويعيشُ يقضيها أسى مطويّا !

* * *

وسرى إلى الفيوم ضيفا يبتغى ... عملاً ، ليبعثَ فى العوالم حيّا !
وإذا فتاة فى الظلامِ كأنما ... بدرٌ توسطَ وجهها الرّيفيّا !

* * *

طلعت على الرجل الغريب تقول يا ... عمّى ، ضللت فهل نبيتُ (سويّا)
وأنا الغريبة لم أجدْ من أهلها ... رجلا ، يؤاوى الغريب سخيّا!
فيقول : ياأختَ النجوم لوانني ... فى غير تلك الأرض كنت وفيّا
إنى أخافُ الشائعات تنوشنى ... فيقال : يهواها هوى عذريّا !
وأخافُ أصهارى عليك وإنهم ... نار ، ألوذُ ، بظلها ، مكويّا !

* * *

ومضى فنامَ ، ومادرى ماشأنها ... والجن تختل من يكون ذكيّا !
وأحسّ دِفئاً فى المنامِ وأذرعا ... ضمته ضم الأمهات صبيّا !

فارتاع مضطربا ، وأجفلَ قائماً يرتادُه نورَ الشمعةِ المطفيّا !

* * *

ومضى ليشعلها فتطفأ لايرى إلا السواد ، ومارداً مَرميّا !
وإذا هو الصوتُ المخاتلُ قد علا ضحكا ، وهمساً كالخفيف خفيّا !
فيصيحُ عثمانُ عرفتُكِ فاذهبي لاتجمعي كلَّ الهمومِ عليّا !

* * *

وتلا كتابَ اللهِ ، فانطلقت كما أطلقتَ سهماً للفرار تهيّا !
وقضى الشهورَ وعاد من أسفاره مَرِحاً يطاول حاسديه ثريّا !
ما كان يخشى الجن كيف تشكلوا قِطَطاً ، ودار واحولهِ سخريا !
هو من أذاهم فى حصونٍ تتّقى واهاً لجنّ !! يقتفون تقيّا !

* * *

ويروحُ عثمان ، فيالكِ ليلةً ما إنْ تريهِ كوكبا دُرّيّا
فتعرضتْ فى الدربِ وانفردتْ به ومضى يفرّ من القضاء مضيا !
هو كالأسير إذا استدار بوجهِهِ لم يلقَ إلا حائطاً مبنيّا !
فاستلّ منطقَهُ ليتلو آيةً وبلطمةٍ منها استحال عييّا !
وكأن دنيا زُلزلتْ زلزالها وكأن ثمتَ عاصفا ذَرّيّا !

* * *

يالفصيح يعود أبكمَ أعرجاً يمشى يحيّ مطرقاً ويحيّا !

يدعو ملوك الجن، دعوةَ ضارع ... خفوا لها كالعاصفات دَرِيا

وأشار سلطانُ إليهِ بأصبع ... فغدا يحدِّثُ لا يعالج عِيَّا

وأتوابها مغلولةً بقيودِها ... قد خرَّ أهلوها العتاةُ جثيَّا !

يستنكرون شذوذَها عن جنسها ... ويرونه عارا ، لهم أبديَّا !

ياضلةَ ! للجنِّ في سلطانها ... جنية تهوى فتى بشريا !

ياساكنى قِممَ الجبالِ مناعةً ... خِروا لهذا سجداً وبكيا !

زاغتْ فتاةُ عن هدَى أسلافِها ... وأتتهُ عارا صارخا مَرْويا !

وأتى أبوها الشيخ يلطمُ وجههُ ... ويريقُ دمعاً في الجفون أتيا !

ياللخسيسة .. دَنستْ أحسابَها ... فلتتخذْ .. سجناً هناكَ قصيَّا !

لاتنزل الخرباتِ زائرةً ولا ... تلبسْ سوى القيدِ المؤبدِ زِيَّا !

obeikandl.com

خاتم سليمان

وهؤلاء هم المردة ، فى ندوة الجن ، يتآمرون على ملك سليمان ، ويستجيبون لدعوة أبيهم إبليس .. وتتحرك النخوة فى صدر شيطان منهم يدعى صخرا ويحتال حتى يسرق خاتم سليمان ، الذى طوع العوالم الأرضية كلها لسلطانه ، وأذل رءوس الجن لصولجانه . ثم كانت هذه التجربة المريرة التى قاسى سليمان منها الجلع ، والنزول عن العرش ، والضرب فى مجاهل الأرض ، أعواما بعدد السنين التى عبدت زوجته (جرادة) صنم أبيها فى دار سليمان وهو لا يدرى ..

خاتمٌ كان فى يد بيضاءِ ... فيه ملك الثرى وملكُ الثراءِ
طبعَ اللهُ ذو الجلال عليه ... اسمَهُ الحقَّ جل فى الأسماءِ
خاتمُ المُلكِ شد ملك سليما ... نَ وأعلى صداهُ فى الأنبياءِ
أعجزَ الناسَ مرةً يالسرٌ ... قالت الأرضُ علمُه فى السماءِ

. . .

عقد الجنُّ ندوةً فى صعيدٍ ... وتنادوا إلى مكان بعيدِ
أن منا مشرداً فى البرارى ... أن منا مصفداً بالحديد
وأبونا العزيزُ ابليسُ يمشى ... فى قيود من المذلاتِ سودِ
هانت الجن تحت حكم سليما ... نَ وهابَ سادةٍ كالعبيدِ

. . .

من يحامى عن الجميع فيفدى ... ربَّه الجن من يد المستبدِّ
من يخلصنا بخاتم لا ترى منه ... غيرَ أخرى بشكر شيبٍ ومردِ
خاتمٌ سخر الجميـــعَ والقى ... طاقةَ الأرض تحت خِنصرِ فردِ
يحرقُ الكلَّ إن ونوا أو تراخوا ... وله الأمر ماله من مَرَدِّ

. . .

(قال صخرٌ علىَّ ياجنُّ أنى ... أسرق الخاتمَ الذى تذكرونا)
(قال ابليسُ إن فعلتَ وقعنا ... لك ياصخرُ ركعاً ساجدينا)
(يا ابن قهليشَ ما استطعت فعجلْ ... أترانا أذلةً خاضعينا)
(يابنى النارِ كيف صرتمْ عطايا ... لبنى الطينِ ظهرها يمتطونا)

وأتى الجندُ يحملون قتيلا كان بالأمسِ بين عرشٍ وتاج
ويسوقون فى الفضاءِ جيادا صافناتٍ تموجُ كالأمواجِ
وسليمانُ معجبٌ يتلقى غررَ الخيل وهو فى الأبراجِ
ثلْ عرشا وضمَّ ملكاً جديدا وأتته جباته بالخراجِ

. . .

شغلتهُ الجيادُ حتى توارتْ غرةُ الشمس واختفت فى الحجابِ
وانقضى العصر لم يقدِّمْ صلاة للذى مد ملكَهُ للحسابِ
فانتضى السيفَ غاضبا وأتاها يضربُ الساقَ قبل ضرب الرقابِ
ان خيلا نهين عن ذكر ربى هنَّ فى الحق من نصيب الكلابِ

. . .

ثم آلىَ لألمسنَّ نسائى فيلدْنَ الغداةَ سبعين عدا
لم يقدِّمْ مشيئةَ الله فيهم فأتاه الالهُ بالطفل فردا
ناقصَ الخلقِ باله نصف طفلٍ وقف الموتُ خلفهُ مستعدا
راح يخفيهِ فى الغمامِ عن الجنْ ويبنى عليه فى السحبِ سدّا

. . .

ظفرَ الجن بالغلامِ فالقو ه قتيلا مهشما من سمائهْ
ولقد ضجَّ المصابَ سليمانُ إذ ابتلَّ عرشهُ بدمائهْ
باكيا ينشدُ السلامةَ فى الأر ض ويدعو بها على أعدائهْ
لايفيدُ الحريصَ حرصٌ إذا ما كان لله حكمة فى قضائهْ

ثم سيقتْ إلى الحكيم السبايا من بناتِ الملوكِ والأمراءِ
وإذا بنتُ سيدِ القوم فيها تتراءى كموجةٍ من ضياءِ
في ثيابِ السوادِ تمشي ولكن في سطوع الغمامةِ البيضاءِ
لو شراها بملكِهِ ما توانى أن يباهي بمثلِ هذا الشراءِ

. . .

ماتطيقُ الحياةَ بعد أبيها إنه كانَ في الملوكِ عظيما
كلّ وادٍ ترى سليمانَ فيه يتراءى لدى الفتاةِ جحيما
كيف تصفو لمن أساءَ إليها بعد ماجدّلوا أباها الرحيما
ما تصح الحياةُ تلقى عليها نظرةً مرةً وقلباً سقيما

. . .

قال للجنّ لو أعدتم أباها !! جسداً نابضا لزال بكاها ..
فأتوها به مثالا فريدا !! مثلما كان قائمـــاً يرعاها ..
فرأتْ فيه ربها ثم خرتْ تعبدُ السيدَ الحبيبَ أباها ..
صنم ذاكَ تحت سقفِ نبي !! بلغتْ فتنة النساءِ مداها ..

. . .

قال ياجن ويلكم حطموه قبل أن يبطشَ القضاءُ بملكي
ما اعتذاري وما أقولُ لربي كيف أعفيت عن ضلال وشركِ
ليتني كنتُ ماعطفتُ عليها وهي تحنو على أبيها وتبكي
ليتني مِت قبلَ خلعي وطردي لاعفا الله ، ياجرادةُ ، عنكِ

وانتحى موضعَ الطهارةِ للغسلِ وألقى ثيابَه لأمينـــهْ
ورمى الخاتمَ الكريمَ إليها فتلقته فى يد مأمونهْ

. . .

(وإذا الشاطرُ ابنُ وقهليش يأتى بعد أن صار سيدا إنسانا)
(نزع الخاتم المعظم شأنا مادرت فيه ذلك الشيطانا)
(مادرت غير سيد الأنس يمشى فى وقار يزيدها اطمئنانا)
(واستوى صخر فوق عرش سليما ن فهابوه هيبة لاتدانى)

. . .

ويجىء الحكيمُ تنكرهُ الإنسُ ويمشى كأنه الأكذوبهْ
خسرَ الملكَ والسيادةَ والجاهَ وأمسى لدى الورى أعجوبه
إنها الهفوةُ التى قد هفاها خلفتهُ يذوقُ نار العقوبه
ولقد ظل أربعين نهارا يتلقى مواجعا مكتوبهْ

. . .

إنها عِدةُ الليالى اللواتى عبدتها جرادةٌ فى حماهُ
علم اللهُ أنه ما راها والوصفياتِ عابداتٍ سواهُ
إنما كان ذنبهُ كنبىٍّ أنَّ شأنا لبيته مارعاهُ
كيف يرعى ممالكَ الأرض طرا وعلى الكفرِ تنطوى أنشاهُ

يانبياً يسير يسألُ هـذا خبرةً يغتذى بها وكساءَ
وهو بالأمس يملأ نَ جفاناً وقدوراً تسدُّ هـذا الفضاءَ
وعلى ناجهِ المطعم بالدرِّ يواقيـ ـتُ ينتفضنَ ضياءَ
وعلى وجهه الموقرِّ فى النا س حياءٌ يزيدهُ استحياءَ

. . .

وقضى اللهُ أن يطيرَ أخو الجنِّ فيلقى بخاتم فى الماءِ
ويمر الحكيمُ يطلب صيدا عندَ نهر عن المدينةِ نائِ
وإذا الشصّ عالِق بسماك فيـه روحٌ وفيه بعضُ عزاءِ
فيه ماضاعَ من خواتمِ الغـ ـرِّ وفيه إنتهاءُ عهد البلاءِ

. . .

فسلامٌ عليـه حين تولى سورة الحكم بين جنٍّ وانسِ
وسلامٌ عليـه ساعة ألقى بالشياطينِ فى غيابةِ حبسِ
وسلامٌ عليـه حين رماهم كالتماثيل بين عمى وخرسِ
وسلامٌ عليـه يهتفُ فيهم أن أقيموا لنا هياكلَ قدسِ

. . .

وهو فيهم على عصا يتوكى بينما روحهُ سرَتْ فى سَماها
بينما الكلُّ مهطعونَ إليها بينما الكلُّ خائفون أذاها
لو دروا أن روحه فارقته ماحنوا تحت ناظريهِ الجباها
ثم خر الحكيم وانصرف الجن ووافت حياته منتهاها

سلام على ابراهيم شيخ المرسلين ، وإمام الموحدين ! ! سلام عليه حين بدد غياهب الشك ، وقطع حبائل الشرك ، وجذ نواصى الطواغيت المنصوبة ، والأصنام المصلوتة ، وعاد يلهو بعقول العميان المصفدين فى أغلال العصبية الجاهلية .. وأف لنمروذ !! أف لهذا المفتون المتأله ، يركب النسور ، ويطعن من السماء مواضع النور ، ثم يزعم أن سهامه المخضبة بالدم ، ما فرّت إلا فى جناح آله ابراهيم ! !

فهلم إلى ابراهيم ، فى النار التى عادت بردا وسلاما ! !

هلم إلى ابراهيم ، وهو يهلك الظالمين بدءا وختاما ! !

صلوات الشعر على أبى الأنبياء ، وكبير الموحدين ! !

قال نمروذُ إن إبراهيما ابن آزارَ حطمَ الأصناما
ما علمنا لهذهِ من عدوٍّ غيره منذُ كان يحبو غلاما
كان يبدي لها أبوه احتراما وهو يبدي لها القِلى والخصاما
كان يمشي بها يقولُ أيامنْ يشتري من يزيدُهُ آثاما

. . .

دخلَ المعبد الكبير عليها ضارباً في رقابها هداما
ولقدْ غادرَ الجميع نياما ولقدْ صبَّحَ الجميعَ حُطاما
ما تقولون في أثيم جريءٍ جذَّ أربابنا العظامَ الكراما
ماجمعتُ الجموعَ إلا لهذا أشعلو النارَ للاثيم انتقاما
حرِّقوهُ لتنصروا كلَّ ربٍّ راحَ تحتَ الفئوسِ يهوي ركاما

* * *

قال قومٌ : ولا عفا اللهُ عنهمْ إن في النار للاثيم احتراما
لطِّخوا وجههُ العريضَ بقارٍ وامسحوا الطينَ وجههُ والرَّغاما
واشتموهُ إذا مشى في طريق إنه كان ظالماً شتَّاما

. . .

صاحَ نمروذ، إنما الرأي عندي أن نجرَّوهُ للجحيم ختاما
ولنجيئوهُ قبلَ هذا عساهُ ينشدُ الرشدَ تائباً لوَّاما

جِيءَ بالسيدِ الخليلِ مهيباً رابطَ الجأشِ رائعاً يتسامى
قال : نمروذُ من آلهكَ هذا ؟ قال : يُحيي الورى ويفنى الأنَاما!!
قال : إنِّى أنا أميتُ وأحيي ثم أحيَيا فتى وأفنى غلاَما
قال: ربِّى يجيءُ بالشمسِ شرقاً فاجعل الغربَ للشموسِ نِظاما

. . .

يا لنمروذَ من آله صَغيرٍ ضاق عَجزاً بحجةِ ابراهاما
قال ياقوم . دونكم حرِّقوهُ ماتُطيقُ العقولُ هذا الكلاما

. . .

فمضوا يحطبون فى الأرضِ عاما ومضوا يحشبون فى الأرض عاما
ملأوا الأرضَ كالجبال وقودا كوموه على الثرى أكواما
ثم صبوا عليه زيتاً ونفطا كى يزيدوه قسوة وعراما

. . .

أشعلوها على الخليلِ جحيما تأكلُ الطيرَ فى السماحيث حاما
وأتوا بالخليلِ يرسفُ فى القيدِ وما زال ساخراً بسَّاما
ثم قالوا . إذا انتهيتَ انتهينا وجعلناكَ سيداً وإماما
قال : ربِّى ولا أرى غيرَ ربى فى حَنِيفيَّتى التى لن تُضاما
عذِّبوا كيفما أردتم فإنى أنا فى الله أنشُدُ الآلاما
فاطرِ الأرضِ والسمواتِ حسبى إن لى فيه نجْوةً واعتصاما

أصعدوه الغداة فى منجنيقٍ ثم ألقوهُ لايهابُ الضراما
ساخراً بالعذابِ ليس يبالى وعن النارِ عينُهُ تتعامى
للسموات عينُه لا إليهم تتخطى إلى السماءِ الزحاما
ثم داروا على الجحيم وقالوا نحنُ نِلنا من العدوّ المراما
يَتشفّونَ . فى الخليلِ قعودا ويطوفون بالخليلِ قياما

. . .

وأتى ضِفدعٌ وفى فيهِ ماءٌ صبَّهُ فى لهيبها استرحاما
وأتى أبرصٌ لينفخَ فيها علَّهُ أن يزيدَها إضراما
وهما صورتا العداوةِ والخيرِ وكلٌّ على الطريقِ استقاما
ما يكادان يأنيان بشىءٍ إنما يفعلانِهِ إلهاما

. . .

نظر الله للجحيم فأمست رحماتٍ على الثرى تتراءى
هبَّت النارُ من حواليه برداً ثم مرت بجانبيه سلاما
لم تخرِّقْ ثيابَهُ وهو فيها يَالنارٍ ترنمت أنساما
وصراخ اللهيبِ يزأرُ فرحا ن تراتيل ترسلُ الأنغاما
ونجا السيدُ الخليلُ فامست اظمى النار لحمَهُ والعظاما

. . .

قال نمروذُ قل لربك إنى أنا أدعو لحربهِ الأقواما

فليجئنى بجيشه إن جيشى فوقَ نهرٍ هناك مدَّ الخياما

. . .

كان نمروذُ بين نسرين يعلو فيوافى من السماءِ الغماما
يزعمنَّ السماءَ خافت إذاه وهو يرمى إلى السماء السهاما
ربما عادتِ السهامُ إليه فى دماءٍ تزيدهُ إيهاما

. . .

قال ربُّ الجنودِ أن جنودى سوف تأتى الكنود حيثُ أقاما
واستفاض البعوضُ يلسعُ فى الجندفيصلى الجنود موتا زؤاما
والإلهُ الصغيرُ ينشطُ للعدْ و ويحكى لدى الفرار النعاما
أدركته بعوضةٌ تترامى فشفتْ منه غلها فترامى
ثم صاح الوجود زهواً ونيهاً إن للهِ فى السماءِ الدواما

رحلة الشياطين

إنها تاريخ ما أهمله التاريخ ! يطالعك منها وفد العرب على النجاشى ملك الحبشة ، وعلى رأسه عمرو بن العاص ، يحلف برأس العاص ، ليأتين النجاشى ، وليوقعن بينه وبين المهاجرين من أصحاب محمد حتى يردهم عن بلاده ، ويسلمهم إليه فيأتى بهم مقرنين فى الأصفاد ..

ويرحل ركب الشياطين ، ليعود بعد قليل تملأ الخيبة يديه ، بعد أن وسوست الخيبة فى صدر عمرو . وسولت له أن يغدر بصاحبه الذى اعتدى على عرضه فى الطريق ، فوشى به إلى الملك ، هـــذه الوشاية الخسيسة ، التى ذهبت برأس الملكة ، وألقت بصاحبه مسحورا ، تتقاذفه الفلوات ، فى مسارح الغيلان .

قال عمرٌو أنا لقومِ محمَّدْ ؛ أنا حرب . . أنا حسام مجرَّدْ !
النجاشيَ أخي وقومُ النجاشي ؛ هم رفاقي عليهمو أتردَّدْ !
أرسلوني إلى النجاشي سفيراً ؛ فسآنيكمو بقومِ محمَّدْ !
أوقِروا العيرَ والجمال هدايا ؛ من جوازي الحجاز تهدَى وتحمدْ !
واحملوني إليه حَمْلا كريماً ؛ فأنا خيرُ من يُطاع ويُوفدْ !

. . .

جَمعوا كلَّ ما يطيب ويُهدَى ؛ وتهادوا على سفين مُسَجدْ !
يقطعونَ البحارَ عرضاً وطولا ، باسم صخرٍ بظهرِ مكةَ يُعبدْ !
والوسيمُ الجميلُ عقبة فيهم ، يتمطَّى على فراشٍ ممهَّدْ !

. . .

قال يا عمرُو . قل لزوجك تنهض ، فتروَّحْ عليَّ فالحرُّ أجهدْ !
قال عمرُو . حَسْبُكَ ذاك أمر . هو أنأى من السماءِ وأبعدْ !
فانحنى المارِدُ الطويلُ عليه ، ورماهُ كمثلِ قطعة جلمدْ !
صاح عمرو بهم ألا أنقذُونى !! بعد ما كافحَ الهلاكَ وعربَدْ !
أنقذُوهُ .. وكاد يغرقُ لولا .. رحمة أدركتْ . ورأى نسدَّدْ !

. . .

ثم عادت سفينةُ الشركِ تجرى .. وفتى العاص .. قائم يتهدَّدْ !
يُظهرُ الصفحَ الأثيم خداعا .. وهو فى نفسه له يتوعَّدْ !

ويد الزوج بالمراوح تجرى . . ومن الخوف لا الرضا تتودّدْ !
ثم سيقت إلى النجاشى الهدايا . . وإلى كلّ ذى مقامٍ ممجّدْ !
من رؤوسٍ مقربين إليه . . كلُّ رأس كهامة النجم مفردْ !
وتدانوا من النجاشى فقالوا . . إننا سادةُ المقامِ المشيّدْ !
قد وفدنا عليك نطلبُ أمرا . . أنت فيه الذى ترجّى وتُقصدْ !

. . .

قال ماذا بكم فقالوا : (أتانا ساحرٌ أتلفَ العقولَ وأفسَدْ)
(يزعمُ السماءَ توحى إليه بكتاب آياته تتجددْ)
وهو فينا اليتيمُ ليس بشىءٍ حين يدعى ولا الزعيم المؤيّدْ)
(تبعته حثالةٌ من بنينا وعلى ديننا القديم تمردْ)

. . .

قال : هل جاءكم ليطلب مالا ؛ فيخلتم به فأرغى وأزبدْ !
أم دعاكم لكى تتولّوهُ ملكا ، فازدريتم بحُلمهِ فتبدّدْ !
قال عمرو : (فداكَ يا مالكُ أمى ، إنهُ الأرضَ والثرى يتوسّدْ !!)
(ما لهذا وما لملكٍ كريم ؛ وهو فى الفتيةِ المساكين يولدْ !!)
(إنه يأكل الطعامَ ويمشى ، بالتجارات كاسباً يتزوّدْ !!)

. . .

وسعى المفسدون زورا ليلقوا ، فتنة الدين بين عيسى وأحمدْ :
قال حالك : (لقد سمعت بأذنى ، سبّةً عذراءَ فى كتاب محمدْ !)

(مريمُ الحرة . البَتول رماها ساحرُ العُرْب بالخنا المتعمَّدْ!)
(من أساء المسيحَ فى خير أمٍّ حقه منك أن يُهان ويُطرَدْ)

. . .

ولقد ثار فاكفهرَّ النجاشى . . ودعا المجلسَ الكبيرَ ليُعقَدْ !
قال:(هاتوا الضيوف نسمعُ منهم. مايقولون فى المسيح ونشهَدْ)
إنه العارُ أنْ اسلمَ ضيفى . . إنها سبةٌ وعارٌ مؤبَّدْ)
ودعوهم فاقبلوا من خيامٍ ضربوها لهم . وظلَّ ممدَّدْ
قال : (ياقوم هل أتيتم بدينٍ يزدرى أمةَ المسيح المسوَّدْ . .)

. . :

فتلوْا . مريما ، عليه فألفى ، صورة الطهر والتقىَ تتجسَّدْ !!
حاطها اللهُ ذو الجلال فنجَّى ، مريمَ الطهرِ من ضلال تهوَّدْ!!
قال (ياقوم ماعلمت كهذا . . من نبىٍّ علىَ صراطٍ بُعيدْ !!)
(ليس بالساحر الكذوب ولكن سيد دينهُ سما فتأيَّدْ ! !)

. . .

(ولئن صح ماتقولون عنه ، فهو نجم من السماء وفرقدْ)
(إن هذا اليتيمَ وهو ضعيف ، يملك الأرضَ بالخميس المجنَّدْ)
(وكأنى بكل باغٍ عليه ، كهشيم الحصَّادِ يلقىَ ويحصدْ)
(ولقد عاش فى المساكين عيسى ، وهو خير من الملوك وأسعدْ)
(ليتنى فى الحجاز ألثمُ منه موضع النورِ والجلالِ فأسعدْ)

(فاتبعوه إذا حفلتمْ بنصحى إن فيه « نبوةً » تتوقدْ)

. . .

خرج الوفدُ يائساً ليس يدرى أى بابٍ له يدَقُّ ويقصَدْ
قال عمرو لخصمه (أنتَ تبدُو أجمل الناسِ فى الحرير المجوَّدْ)
(ونساءُ الملوكِ تفعلُ فى الملكِ فعالاً فقمْ لها وتودَّدْ)
لم يعقبْ على المقال ولكن قصد البيت فارع العود أمردْ
فتنةٌ : تحملُ الجمالَ وتمشى كل باب تدقُّه ليس يوصدْ !

. . . .

طار عمرو فدقّ بابَ النجاشى يطلبُ الإذنَ راعشاً يتشددْ
قال:مولاى ! صاحبى جاء أمراً كاد عرقى لهولِهِ يَتفصَّدْ
إنه الآنَ فى فراشِكَ ثاوٍ فى كئوسٍ على خوانٍ منضَّدْ

. . .

دارت الأرض بالنجاشى فنادَى ربة القصر بالحسام المهنَّدْ !
حز بالسيفِ رأسها ورماهُ ؛ وهى كالكلب بل من الكلب أوهدْ !!
ورمى « عقبةَ » بنظرةِ شرٍّ أخرسته كما رد تجدَّدْ !
قال . لو يقتلُ الرسولُ قتلنا وسنجزيكَ ما أشرَّ وأنكدْ !

. . .

أيها الساحرون شدُّوا عليه ، واتركوه موسوساً يتشرَّدْ !
طعمةً للوحوشِ تأكلُ منه ، وهو عارٍ من الثياب مجرَّدْ !
واطردوا وفده الذى جاء فيه ، إنه شر وافدٍ يترددْ !

مشت فى ليلها تسعى ... تشبه الأفعى
وفى أحضانها طفل ... أثار القلبَ والسمعا
أبوه جون قد . . ولّى ... بعيدا . . ماله رُجْعى
صراخ الطفل أبكانى ... فعينى . . ترسل الدمعا

. . .

وبَردُ . . ما عهدناه ... يُذيبُ الجلدَ والعظما
وصاح الطفلُ أمّاهُ ... فقلنا . . ليست الأمّا

obeikandl.com

يداهـا أطبقتْ فاه إذا ما صاح أو همّـا
تعـالى اللهُ مـولاه أمات الرفقَ والحلمـا

* * *

فتاة كلمـا جُـزْنـا ، بقصر العين ، نلقاها
فتُعطى الطفلَ يمناهـا وتعطى الناس يسراهـا
وتـدعـو كل همّـازٍ ومشّـاءٍ . . . فيغشاها
فبئس السم والأفعى لمن مـدت له فاهـا

* * *

شبابٌ . . ليس يثنيه عن اللذاتِ وجدانُ
تَراهمْ كلمـا بانت لهم إنسانةٌ بانوا
فراشٌ حيثما حـلوا قرود حيثما كانـوا
وهم للخير أعـداءٌ وللشيطانِ أعـوانُ

* * *

ومرّت بعـدُ سيارهْ عليها فتيةٌ صاحوا
لقد جئناكِ ياسـارهْ فأنت الماءُ والراحُ
وجاءت تشبه الغارهْ ولما سلموا راحوا

* * *

وبنتُ الناسِ ما زالت بداءٍ قاتلٍ تمشى

يُميلُ الصف أن مالت وللأسرار لا تُفشِي
إذا ما لمتَها قالت أَبيعُ الداءَ بالقرشِ
وما ذنبي إذا جالتْ بقايا الداءِ فى فرشى

* * *

وهذا الطفلُ والعارُ على النهدين محمولُ
له فى الحى أخبارٌ وفى أخبازهِ طولُ
وعاءٌ فيه للجانى وللشيطان محصولُ
كفاه أنه طفلٌ أبوهُ الحى مجهولُ

* * *

يتيمٌ فى يَدَى أمٍّ أبوهُ لم يمت بعدُ
بلا خالٍ ولا عمٍّ جفاهُ الحضنُ والمهدُ

* * *

أَبوه ذلك الجندى أتى فى ثورةِ الحربِ
وكالخنزيرِ والقِردِ رأى ، ندمانه ، الدربِ
فثارتْ شهوةُ الفهدِ بلا عقلٍ ولا لبِّ
شراها جونُ بالنقدِ ونجاها من الكربِ

* * *

وكان الفقرُ يُضنِيها فجرَّتْ ذيلَ مختالِ

وظلَّ المـالِ يُغريها فمن حال إلى حالِ
وملت عيشَ أهليهـا فمالتْ فى يـدِ المالِ
ولم تحفِـلْ بماضيها فعاشت بينَ أوحالِ

* * *

ولمـا زالت الحربُ مضى كلٌّ لأهليـهِ
وراح الشرقُ والغربُ وظلَّ الطفلُ فى التيهِ
فلا مالٌ ولا كسبٌ لأمِّ الطفـلِ تجنيهِ
وضاق العيشُ والدربُ وصارت «بنتُ» فيهِ

* * *

فماذا ضرَّ لو سارَتْ بهذا الطفلِ تَستْجدِى
رأتهـا صنعة سارَتْ فما تُغنى . . ولا تجـدِى

* * *

فراحت تنزلُ السوقا تبيعُ العهرَ للنـاسِ
بقَـدٍّ كان ممشـوقاً وجسمٍ . ناعمٍ كاسِ

* * *

وهـذا الطفلُ يحميها إذا التفتْ بها الشرطهْ
غـلامٌ فوقَ أيديها ينجيهـا من الورطـهْ
وكنا . . . لانرى فيها فتاةً بل نرى سقطـهْ

obeikandl.com

الشاعر والبطل

أف للخمر ! وأف للشعر ! وأف للبطولة ، تتململ في القيود ، وتتحرك في الأصفاد ! !

هذا أبو محجن الثقفي الشاعر البطل يبدو في ضراعة الحبيس الأسير . يحني رأس البطولة أمام زوجة سعد بن أبي وقاص ضارعا باكيا يسألها أن تفك قيوده ! !

وهـــذه هي القادسية ، ألقت الفرس فيها بجموع صناديدها ، تتخطف المسلمين عن شمال ، ويمين . وكادت الدائرة تدور ، لولا أن استجابت زوجة سعد لدموع البطل ، الذي حبسه سعد ليجلده ، في كأس خمر ، شربها في ساعة لهو ! !

أطلقته ليخطف المسلمين النصر الملثم ! !

يخطفه في النهار من بين براثن المعركة الرهيبة ، ثم يعود بالليل ليلبس القيود ! !

حتى إذا حان الحساب ، كانت كفة البطولة أرجح في الميزان ، من حشوات خمر ، فكان العفو ! ! وكانت المثوبة ! !

فى القادسيةِ ؛ والأجنادُ صفانِ ... والحربُ تضربُ، فرسانا بفرسانِ !
والنصر يهربُ من أسيافِ خاطفهِ ... كأنه كرةٌ . . يلهو بها اثنانِ !!
والمسلمون قليلٌ . . عندَ معركةٍ ... ضاقت على الفرسِ . من آنٍ إلى آنِ !
وعينُ سعدٍ فى الوقاصِ تلحظهم ... يجاهدون . . على دينٍ وإيمانِ !
ويفتحون حصونَ الفرسِ ناهضةً ... تحارُ فيها ، عيونُ الأنسِ والجانِ !

* * *

وبينما الناسُ . . فى أثناءِ مَلحمةٍ ... من التهاويلِ تُلهى كل إنسانِ !
جاء الجنودُ بإنسانٍ يطافُ به ... على الخيامِ، صريعَ الكأسِ والحانِ !
ما كاد ينطقُ ، حتى فاح من فمهِ ... ريحٌ ، تجودُ بها أنفاسُ سكرانِ !
فقال سعدٌ : خذوا والريحُ فى فمهِ ... هذا الأثيمَ ، فألقوه . . لسجانِ !
غدا . نقيمُ عليه الحدَّ إن فرغَتْ ... من العدوِّ : عدوِّ الله ، أعوانى !
يلهو ويلعبُ ! والأبطالُ مقبلةٌ ... على القتالِ ، زرافاتٍ ، كوحدانِ !
خذوا أبا محجنٍ فى القيدِ إن له ... غداً . . حساباً . . إذا ما قامَ ميزانى !!

* * *

ودارتِ الحربُ . فاختلتْ قواعدُها ... فى السهلِ، والوعرِ، والسرداب والخانِ !
والسيفُ يخطبُ والآجالُ مصغيةٌ ... لما يقولُ ، لارواحٍ ، وأبدانِ !
ماتَ الفوارسُ فيها يومَ مبعثِهم ... تحتَ الغبارِ . . يغطيهم . . كطوفانِ !

* * *

واجهشَ الشاعرُ المخمورُ منفجراً ... يبكى . . كأن لمْ يكن يوما بنشوانِ !

وقال : يازوجَ مولانا ؛ وسيدِنا ... إنى سمعتُ صريخَ الحربِ نادانى!
حُلِّى وثاقى.. وفكى القيدَ وانتظرى ... عودى إليك.إذاماالليل أضوانى!
لاتحسبينى جباناً .. جدَّ فى هربٍ ... أنا الوفىُّ ، بأقسامى ، وأيمانى ،
تأبى الشجاعةُ والأسيافُ دائرةٌ ... إلا أحلَّ مكانى بين إخوانى!

* * *

أعطى اليمينَ لهـــا ألا يخادعها ... إن الخديعةَ لم تخلقْ لشجعانِ!
فصدَّقتْ زوجُ سعدٍ وامتطى فرساً ... كخطفةِ البرقِ لا كالمترف الوانى!

* * *

وعادللحرب يصلاها .. ويشعلُها ... ويشربُ النصرَ فى أقداحِ ظمآنِ!
ويضربُ الهامةَ الشماءَ فى صلفٍ ... فتنحنى . ثم تهوى . وهى نصفانِ!

* * *

وأشرفَ ابنُ وقاص يشهدهُ ... كأنه حيدرٌ ! أو خالدٌ ، ثانِ !!
ملثَّما .. لاتكاد العينُ تعرفهُ ... كلابسِ الزورِ ،مستوراً كعُريانِ!

* * *

وقال سعدٌ عجبتُ اليومَ من رجلٍ ... يفرى العدوَّ .. ويرميه بخسرانِ!
لولا أبو محجنٍ فى القيدِ تحرسه ... زوجى الأمنيةُ رهناً بين جدرانى!
لقلتُ هـــذا الفتى لاغيره أحد ... أوقلتُ : هذا ومن فى القيدِ سيَّانِ!

ولى النهارُ . وجاء الليلُ وانصرفتْ كتائبُ الحربِ . من شانٍ إلى شانِ !
وعاد شاعرُها العالى وفارسُها يعالجُ القيدَ . فى صبرٍ وإذعانِ !
أدَّى البطولةَ ، حقا كان فى دمهِ والمروءة . . أدى حقها الثانى !
وزوج سعد تواسيه وتكرمُه على خفاءٍ . من الدنيا . ونكرانِ !

* * *

وفى الصباحِ ارتدى للحرب أهبتها وعاد يلهو ، بقوادٍ ، فرُسانِ !
يمشى إليهم كظل الموتِ يخطفهم من السروج ، كنسرٍ فوق غربانِ !
فلا يقومُ له قِرنٌ ولا بطلٌ إلا نعاه الردى . . للعالم الفانى
وعاد للقيدِ فى رجليه يلبسُه كأنه حليةٌ ، فى ساقِ مفتانِ !

* * *

حتى أتى المسلمين الفتحُ ، وانتزعوا مواضعَ المجدِ ، نصراً ، بعد خذلانِ
وجيء بالشاعر المحبوس منفرداً يَعضُّه القيدُ ، ملوياً كثعبانِ !
قادوه !! يجلدُ فى الخمرِ التى لعبتْ بلبه ، واحتساها حسوَ ندمانِ

* * *

فقال : لابن أبى وقّاصَ معتذرا عذِّبْ بما شئتَ ، وأجلدنى ، أنا الجانى !
أقمْ علىَّ حدودَ الله . . مقتدرا وسَلْ حريمَك . عن سرى وإعلانى !

* * *

قالتْ : بصرتُ به ، فى القيدِ محتشداً إلى الدموع فألقاها ، وأبكانى !

يشكو اشتياقاً إلى الهيجاءِ يقتلهُ ... إذا تطاعنَ تحتَ الرمحِ خصمانِ !
أطلقتهُ .. فاصطلاها . ثم عاد لنا ... وما علمت عليه أيَّ بهتانِ

* * *

قال الذين غلوا فى الحدِّ .. خلِّ له ... وجهَ السبيل، ولا تفتكْ بذى شانِ
كقاتلِ النفس موسى وهو معتذرٌ ... أما عفا اللهُ عن موسى بن عمرانِ
قد استجابَ لهم سعد فأطلقهُ ... وضمَّهُ ، ضم إحسانٍ وعرفانِ

* * *

وقال : أين ضحايا الحرب إنَّ لهم ... عندى بقيةَ إكرامٍ وإحسانِ
إنى أضاعفُ للمبتورِ اسهمهُ ... للجندِ ألفٌ .. وللمبتورِ ألفانِ
فللمشوَّهةِ الأطرافِ منزلةٌ ... إن لم أصنها .. فلا أرضيتُ ديَّانى

أزاهيرها ..

تسقى أزاهيرها الصغرى وتنسانى ، ... وقد نثرتُ عليها زهرَ وجدانى !
صنتُ الودادَ . وضاعت عندها منحٌ ... قد نضدتها من الآمالِ . كفَّانِ !
لا أجزينكِ عن حال رضيت بها ... كفرا . بكفر ، وحرمانا بحرمانِ !
أنا الوفىُّ لأحبابى . وإن ظلموا ... تمشى إساءتهم فى نور إحسانى !

أى خضرة ...!

أيتها الراكعة ، الساجدة ، الخاشعة ! !

هذه سيرتك ، يترامى بها الخيال الراقص !!

وأنت مِلءُ الزمان . روعة وجمالا !!

تضربين بسهميك ، فى قلوب المتيمين ! !

حتى احتواك قصر ، وشاه النعيم ! !

وكانت التوبة التى ترفع الراقصة !!

إلى سواءِ القديسات العابدات !!

جمالٌ مـــدَّ سُلطانا ، على (الجرنوسِ) فتّانا !
طَوَى عصرا ، وإقليما ، وأشياخاً ، وشبّانا !
ودنيا ، لم تكن شُغْلا ، شُغُولا ، مثلَ دنيانا !
وكان العمرُ راحاتٍ ، وكان العيشُ رَيحانا !

* * *

تثنّتْ (خضرةٌ) تمشي ، على رقٍّ ، وزمّار !
أخوها السيدُ (الغازي) لهـــا كالظلِّ للسارى !
وخضرةُ ، نخلةٌ قامَتْ ، على ساقٍ كجمارِ !
وتلك الجنةُ ازدانَتْ بمشبوبٍ من النـــارِ

* * *

لها جسمٌ كتمثالٍ ، صَفَا .. كالمرمرِ المحضِ !
يكادُ اللمسُ يدميـــه ، عجيبُ البسطِ والقبضِ !
وسيفٌ تحت جفنيها ، مصيبٌ ، حيثما تَمضى !
قضاءُ اللهِ . مرهونٌ ، بما ترمى ، وما تقضى !

* * *

فما حُورية ، تهفو ، لها الأرواحُ ، إذ تبدو
ولا جنيـــةٌ ، يزهو على خـــدٍّ لها وردُ
بأقوى فِتنـــةً منها ، إذا ما رفرف النهـــد

ترى عشاقَها راحوا ، وكلٌّ عندها عبدُ !

* * *

لها في الريفِ ، أحبابٌ ، وعشاقٌ معاميدُ !
على هزّاتِ رِدْفَيْها ، يفيضُ المالُ والجودُ !
فدنياها تفاريحُ ودنياها مواعيدُ
ومن مدت لهُ كفّاً وطَرفاً فهو محسودُ !

* * *

وكم من حاكمٍ ألقى ، على أقدامِها رأسا !
سقته الراحَ عيناها ، فأترع منهما الكاسا !
وقارُ الحكمِ جافاهُ ، فجافى الحكمَ والناسا !
وأفنى ذاتَهُ فيها فعاشتْ فيه إحساسا !

* * *

وما كانت سوى أنثى لعوبِ القدِّ . هيفاءَ !
فتاةٌ ، مالها قلبٌ فتعطيه ، الأحباءَ !
تُميتُ الناسَ إغراءً ، وتحيي الناسَ إغراءَ !
تحبُّ المرءَ إن شاءتْ ، وتنساهُ ، متى شاءَ !

* * *

لها فيهمْ شفاعاتٌ ، لدى الحكامِ ، مقبولهْ !

وكمْ لاذتْ بها نفسٌ ، بسيف البغي مقتولهْ !
فنجتها . . بلا أجرٍ ، وعادتْ ، وهي مجهولهْ !
حديثٌ . . قد سمعناهُ . به الأسنادُ ، موصولهْ !

* * *

وممّا أدهشَ الدنيا ؟ ! فتى من عليةِ الناسِ !
رآها ، بين فُرسان ! مشاهير . . وحرّاس !
فلم يهبأ ، بأسيافٍ ! ولم يخفضْ بأغراسِ !
وخاضَ الجمعَ في ثوبٍ طويلِ الذيلِ ميّاسِ !

وأردفَ فتنةَ الوادي ، على مهرٍ له يجري !
وقد أوفى على قصرٍ ، له في طلعةِ الفجرِ !
وباتتْ عندهُ في أمنٍ ، ولا تشكو من الأسرِ !
وكانت ظبيةً فرّتْ ، مع الصيادِ في يسرِ !

فقالَ الناسُ : ماهذا ؟ شريفٌ ، قارنَ العنبرا !
أما اختارُوا له أنثى ، تصونُ الحبَّ والطهرا !
أطافَ (سيد حمد) الدنيا ، فضيعَ عندها الأخرى !
لئن ، رقاصةً تابتْ ، فما تابتْ لها ذكرى ،

ولامُوه ! فما ألقَى ؛ إلى أقوالهمْ بالا !
وقال : الحبُّ لم يتركْ ؛ لنا فى العذرِ أقوالا !
أطعنَا فيه أفدارا ، وعشنا فيه جهَّالا !
عصينا فيه آباءً ، وأعماما وأخوالا !

* * *

إذنْ فليسقطِ الحاكى ، إذنْ فلتسقطِ الدنيا !
وطاف (البهنسا) همسٌ ، ودارَ الهمسُ فى المنيا !
وقال القومُ ، مجنونٌ ، سفيهٌ فاطلبوا الفتيَا !
فجاء الشرع .. يحميها ، وبات الأمرُ ، كالرؤيا !

• • •

وفى محرابها لاقتْ كريمَ العفوِ ، غفارا
تواسى ، كلَّ مسكينٍ وتقرى الضيفَ والجارا
وتحيى الليلَ تسبيحاً وأورادا ، وأذكارا
وحجَّتْ سبعَ حجاتٍ تحُونَ الذنبَ والعارا

اليواقيت

أحق من يهدى إليه هذا القصص أنتِ ، يا كبيرة أديباب مصر ، يا فخر نساء العصر ، يا صانعة اليواقيت الصافيات ، والدرر الغاليات ، ياقوت القلوب . .

أنها نفحة محمـــدية درداشية صنعها جدك الكبير (درداش) حين دعاه وإلى مصر قايتباى ، لينزل قبر الرسول ، فيرى هل سرق اللصان الغادران اجثمان الشريف أم لايزال فى موضعه مشترطا أن يقطع رأسه إن أجاب بنعم أو لا .

لقد كتب له المجد إذ رأى الجثمان الطاهر فاذا وجهه يطفح بالأنوار ، تخطف ببريقها الأبصار ، وإذ الأمير يقبله قبلة الشكر والاعتذار.

أنها قصة الغدر المبيت لنبي المسلمين يكشفه الله لقايتباى فى رؤياه فيدلف إليه بعساكره ليكشف السر ويمحق عصبة الكفر ويروح اسمه فى الخالدين .

obeikandl.com

قال لى صاحبى . رأيتَ مَنَارَهْ أسبلَ اللهُ فوقها أنوارَهْ !
كلما نمتُ أو صحوتُ تجلّى ذلك النورُ صاعداً فى المَنَارَهْ !
من يكونُ الذى تغيبَ فى القبرِ وألقى على الوجودِ شِعَارَهْ !
أنبىٌّ تلألأ النورُ منه أم ولىٌّ . له تُباحُ الزيارَهْ !
قلتُ . هذاك جدُّ أكرمِ أنثى لبستْ ليلَهُ وشقّتْ نهارَهْ !
تلكَ (قوتُ القلوبِ) تصنعُ للنا سِ يواقيتَ حرةً مختارَهْ !
من وراءِ الحجابِ تطلعُ كالغيـ ـبِ وتلقى على الورى أخبارَهْ !
والشعاعُ الذى على المنار حديثٌ حولَ قطبِ الزمانِ لفَّ مدارَهْ !

* * *

قال هاتِ الحديثَ رُبَّ حديثٍ أطربَ السامعيه كالقيثارَهْ !
أنت تحكى الغريب من كل أمرٍ وتزفُّ الحديثَ زفَّ البشارَهْ !
مؤمنا بالذى تقول وتروى ربما صغتَ عبرةً فى عبارَهْ !
وأنا تلعبُ الشكوكُ برأسى ما احتيالى . . فى نفسى الأمارَهْ !
قلت رويا . أتتْ (قيتباىَ يوماً) وهو فى مصرَ قائمٌ بالإمارَهْ !
وهو أصفى الملوكِ نفساً وأقوَى شوكةً من ملوكها الجبارَهْ !
إذ يصلّى فلا يملُّ صلاة ويوالى فلا يخوفُ جارَهْ !
وهو يتلو الكتابَ إذ هو تالٍ ودموعُ الخشوعِ بلّتْ إزارَهْ !

* * *

إذ رأت عينُهُ النبىَّ منامًا ورأى مسجدَ النبىِّ ودارَهْ !

والنبيُّ الكريمُ يمشى إليه ... بين شيخين قد أباحا جوارَهْ
قال أسرعْ إلى نبيكَ بالسيفِ ... فأنقِذْ من العدا آثارَهْ
وأشارتْ يدُ النبيِّ فكانت ... للشيوخِ الكماةِ تلك الإشارهْ
لم يكذِّبْ بما رآه ولكنْ ... قال : (ياجندُ دونكم والاغارهْ)
أسرجوا الخيلَ وانهضوا فى سلاحٍ ... قبل أن ينفضَ الصباحُ غبارهْ)
(أوقِروا لى اجمال مالا وقمحا ، ... من محاصيل دولتى الزاخرهْ)
ومشى السيدُ العظيمُ محاطا ، ... بهداياه كالمآ أسرارهْ !

* * *

وأتى مسجدَ النبيِّ فباتتْ ، ... أدمعُ الشوقِ أرضَه وجدارَهْ !
ثم آوى إلى المقامِ فصلى ، ... مبديا فيه ذلَّه وانكسارهْ !
ودعا عمدةَ المدينةِ يأتيه ، ... فلبَّى وقد دعا الأنصارهْ !
طوَّفَ الناسَ بالهباتِ جميعا ، ... لم يَدَعْ حائراً ولا محتارهْ !
كلهم عاد فى يديه العطايا ، ... فهو يهدى حريمَه وصغارهْ !
والاميرُ العظيمُ ينظرُ كالصقـ ... ـرِ ، ويرنو يمينَه ويَسارهْ ،
لا يرى الاوجهَ الكريمةَ فيهم ، ... لا يرى المنظرَ الذى قد أثارهْ !
قال : (رؤيا النبيِّ صدقٌ فمالى ، ... لا أرى فتيةً أباحوا ذِمارَهْ !!)

* * *

(إيه ياعمدةَ المدينةِ قلْ لى . . ... قد كسونا الجميعَ حتى الحجاره)
(هل تركنا بيشربٍ من غريبٍ ، ... فى فلاةٍ أو عاكفٍ فى مغارهْ؟)

obeikandl.com

قال : (مولاى ما تركنا غريبا . غيرَ شيخين أقبلا فى تجارهْ)
(فرقا المال والتجارةَ فينا .. ثم لاذا بظلِّ تلكَ الستارهْ)
فإذا .. صيحةٌ تعالت ودوَّتْ ، أعلن (البابُ) فى صداها انتصارهْ !)
(قال : هاتوا الشيوخ إنى أراهم ، من جواسيس دولة غدارهْ !)
(أنياهُ .. فقال . صدَّقتُ رؤيا ى وأبقيتُ للمقام وقارهْ !)
(انقبوا الارضَ إن فيها ثقوبا ، ذان لصان .. يثقبان جدارهْ !)

* * *

(أىَّ لصين يسرقان نبيًّا إذ هما يهتكان عنه ستارهْ)
(فجوةٌ فى الضريح تفضى إليه خفيت عن نواظر النظارهْ)
(أيكمْ ينزلُ الضريح يرينى قبضةَ النور .. هل هنا فى المزارهْ !)
(غير أنى سأغمدُ السيفَ فيه عند ما يلفظنَّ شِقَّ عبارهْ)

* * *

فانبرى الفارسُ الكريمُ ، دمرداشُ فابدى شجاعةً وجسارهْ !
نزل القبرَ ثم عاد وضيئاً ، يملأُ النورُ وجهَه وعذراهْ !
هابه الناس والأميرُ وحاكتْ ، صفحتاه الكواكبَ السيارهْ !
وانحنى السيدُ الكبيرُ فكانت ، قبلةُ الشكرِ نِعمتْ الكفارهْ !

* * *

ياوليًّا محمدًيا توالتْ ، بركاتٌ سمت به للصدارهْ !

كلما سار في الظلام تراءى ، قبسٌ من سماحه ونضـارهْ !
نفحةٌ من نبوةٍ ادركته ، هكذا اللهُ يصطفي أبرارهْ !
ربمـا رَاعَتِ العنايةُ إنسا نا فاعلت على السهى مقدارهْ !
والاثيمان . ما أذلَّ وأخـزَى ، في حبال المشانِقِ الدوارهْ !
بين سُخطٍ يفتت الحجرَ الصَّلدَ وغيظ العساكرِ الجرارهْ !
شُـنِقَ الكافران في يوم حرٍّ في ثياب الولايةِ المستعارهْ !
وإذا جثتان في ساحه الصَّـ لب طعامُ الكواسرِ الطيارهْ !

* * *

إن هذى مبرة (لقيتباىَ) رعى اللهُ قدرَه واقتداره !
خصه السيدُ الرسولُ برؤياه وأدنى مـكانَه فاختاره !
أنا أعليتُ ذكره في القَـوافي وتعالى الكريمُ أعلى جواره !

* * *

إن لله والرسولِ سيوفا ، مسـلمات ، قواطعا بتاره !
من يُـرِدْ ذلك الرسـولَ بسوء من بني الأرض قطَّعَـت أدباره

الجمال الهائم

نفحة زهر ، ونشوة عطر ، وبسمة سماء ، ولفتة ظباء ، وريحانة صحراء ، فاضت بها أساكيب القنال ، وإشراقة الصحراء على الرمال ، انطلاق من الأسر فى دنيا الخيال ، وراحة النفس فى متاعات بين انبساط وانقباض ، وظلال ورياض ، وسمو بالأحساس فوق دنيا الناس .

هى قصة أشبه منها بالقصيد ، وبالقصيد أشبه منها بالقصة . فالى التائهين فى بيداء الأوهام أهديها ، وإلى العائشين فى بروج الأحـــلام أزجيها . .

تلفتُّ أنظرُ ركب الجمالِ ... يلوحُ معَ الصبحِ فى موكبِ
وندٌّ من الحرمِ الفاطمىِّ ... غزالٌ تسربَ من مهربِ
تألقَ فى وجنتيه الضُحا ... وأشرق إشراقةَ الكوكبِ
وأقبلَ يفتحُ بابَ الجنانِ ... على روضهِ المطربِ المعجبِ
تمَّليتُ أنهلُ من حسنهِ ... فيسكبُ خمراً على خاطرِى
وسكر نشوانَ من طرفهِ ... ومن ريحهِ العبقِ العابرِ
ومن نقطةِ الخالِ فى خده ... ومن قطرةِ العنبرِ الزافرِ
وفوق سماحةِ صدرٍ حنونٍ ... أرحتُ همومَ الفتى الشاعرِ

obeikandl.com

وفي صحبةِ الظبي جئتُ السماءَ ... وطوفتُ أبحثُ عن صاحبي

أسائلُ عنه الخلاءَ الرحيبَ ... وما زالَ يزحفُ في جانبي

أقولُ . ضللتُ سواء السبيل ... وطوفتُ . بالعجبِ العاجبِ

أتسلبُني منكَ عينُ المَهَا ... وأنتَ مُعيني على سالبي

مَلكتَ فعذّبت فاستبقني ... لعلكَ تغنمُ من عودتي

نعليَّ إذا عدتُ في العائدين ... أغرّدُ كالطيرِ في وحدتي

وأبعثُ شدوي كموج القنالِ ... هديراً يُهدهدُ من وحشتي

لطيفا له زرقةُ اللازوردِ ... ترفرفُ في صحنوهِ جنتي

* * *

يُذكرني ساعةَ قد وقفتُ ... وكفّاكَ في هامتي تلعبانِ

وأنتَ أنيسُ نواسي القلوبَ ... وقد تاهَ في أنسكَ الصاحبانِ

وغنى لكَ البحرُ مستشرفاً ... ومالَ من النشوةِ الشاطئانِ

وأطلقتها فرحةً لا تموتُ ... ويفنى على ثغرِها كل فانِ

وداعبتَ جذلانَ نرجيلتي ... فدبَّ اليها الهوى والشبابْ

وراحتَ تقهقهُ مزهوةً ... كما قهقهَ الرعدُ بين السحابْ

وماذا عليها إذا غرّدتْ ... وقد قبلتها الثنايا العِذابْ

وأنت الذي تلمسُ الكائناتِ ... فيهفو الهشيمُ ويصحُو التُرابْ

سلامٌ على حسنِ يوم القتالِ ... سلامٌ على صبحهِ والمساءْ
على كلِّ أرضٍ خطرنا بها ... على كلِّ روضٍ على كلِّ ماءْ
على كلِّ جاريةٍ فى العبابِ ... على كلِّ ساريةٍ فى السماءْ
على جَبلٍ رابضٍ فى الطريق ... على جملٍ آبدٍ فى الفضاءْ

* * *

على بسمةٍ منك فتانةٍ ... ولفتةِ جيدِ الغزالِ الفريدْ
وسلسالِ شعرٍ كنبعِ الصفا ... أسلسل فيه الهوى والقصيدْ
على شركٍ رابضٍ فى جفونٍ ... أهابتْ بأهدابها أن تصيدْ
على ندوة . فى ضفاف القتال ... تمنت أمانينا أن تعودْ

* * *

حنانك ياحسنُ واتيتني ... وكنتُ على موعدٍ أن أتوبْ
وذوبتُ روحى على راحتى ... وكنتُ ضنينا بها أن تذوبْ
وضيعتُ عمرى فأرجعتَهُ ... قشيبا إلىَّ كثوبٍ قشيبْ
حنانيك إنك صافيتنى ... وعلمتنى كيفَ يصفو الحبيبْ

سان جورج أبو الخضر

سان جورج . أو مارجرجس أو الخضر عليه السلام . هذه الأسماء الثلاثة تطلق عند الفرنجة والمصريين والعرب على شخصية عالمية جوالة تحاك حولها القصص وتروى الأساطير فى الشرق والغرب وللانجليز فى بلادهم ولع خاص بهـذه الشخصية حتى انهم رسموا صورته على الجنيه الإنجليزى القديم (الحيـال) ويطلق عليه لقب حامى الجزر البريطانية وكلهم يروى عنه الأعاجيب ويعتقد فى وجود هذه الشخصية وخلودها

ما توهمتُ ساعةً في حياتي ... أن أراها كسولةً عن صلاةِ !
صامتَ الدهرَ كلَّهُ وأراها ... تصلُ الماضي الحبيبَ بآتِ !
عفةُ القلبِ واللسانِ طروبٌ ... حين تروي لتربها أبياتي !
هي خيرُ النساءِ في الفتياتِ ... وأبرُّ النساءِ في الأمهاتِ !

. . .

قد جلسنا على الرُّبا نتحاكى ... لست أنسى حديثها عن ذاتي !
ثم مرَّتْ بنا نسائمُ تجري ... في رياحٍ زكيةٍ عطراتِ !
فأجابتْ عليكَ أزكى سلامي ... أيُّها الخضرُ صاحبَ المعجزاتِ !

* * *

قلتُ ما الخضرُ ؟ ما أرى بعدُ شيئاً ... ما أرى هذه . سوى نسماتِ !
فأجابتْ . إذا سرتْ روحُ مسكٍ ... فهو الخضرُ . مرَّ في الخلواتِ !
والذي يُنعشُ الصدورَ شذاهُ ... كم لهذا الوليِّ من نفحاتِ !
قلتُ . واهاً ! عليكَ رحمةُ ربي ! ... إن هذا الوليَّ في الأمواتِ !
ما تقومُ الأمواتُ من حفرِ المو ... تِ وتمشي هنا . على الرُّبواتِ !
فأشاحتْ بوجهها الحرِّ عني ... ثم قالتْ خذِ الحديثَ وهاتِ

* * *

إن جاري وكنتُ أدعوهُ فكري ... كان يشكو القديمَ من عِلاَّتِ !
كان داءُ العظامِ ينخرُ كالسو ... سِ ويمشي به على عَصواتِ !

قال : ياجارتى شقيت بداءٍ ، حيرالطبُّ وازدرى بالاساةِ !
وأتانِى وكنتُ فى النومِ آتٍ . قال «مارى» مفرجُ الضيقاتِ !

. . .

أسعفينى إذا استطعتِ بزيتٍ ، من قناديل زيته المُشعَلاتِ !
وامسحِيلى على العظامِ لعلِّى ، أجدُ البرءَ ناجياً من شكاتى !

. . .

كان جارِى علىَّ شيئاً عزيزاً ، كان يَقضى العزيزَ من حاجاتى!
فمسحنا عليه بالزيتِ حتى ، عاد أقوى الرجالِ فى ساعاتِ !

* * *

وأتى جارتى المخاضُ فبتنا ، نذرفُ الدمعَ حولها قلقاتِ !
ودعوناه موقناتِ قلبىٍّ ، إذْ نذرنا «لقدسِه» شمعاتِ !

* * *

قلتُ . هذا الذى تقولين زورٌ وخيالٌ يجىءُ فى الترهاتِ !
قالت . اللهَ فى الرجالِ أولى العزمِ !! وحاذرْ مواقفَ الشبهاتِ

* * *

طالما ضاقَ بالحياةِ رجالٌ ، فأتاهمْ مفرجُ الكُرباتِ !

إن خلفَ الحجاب سراً رهيباً ، لم تدوّنْ نصوصه فى وَصاقِ !
وإذا أنت لم تزر السرَّ فاسألْ ، من رآهُ .ولا تخضْ فى الثقافِ !
إنه الفارسُ الذى قتلَ التنينَ طعنا مُسبرّحًا بالقَناقِ
وعلى صفحةِ الدنانير منهُ ، رسمُ غازٍ يعز بين العُزّاقِ
فهو فيما نراهُ نحنُ ولىٌّ ، وهو قديسُ هذه الدّولاتِ
كلّهم يخفض الرءوسَ إليهِ ، الملوكُ العظامُ كالملكاتِ

* * *

وسكتنا . فقلتُ .ياوردهاتِ ، ليس يخلو الحديثُ من لذّاتِ
قالتِ . الحق ما أقولُ وإنّى ، أنا آتيكَ منه بالآياتِ
قدروى الناسُ من زمانٍ قديمٍ ، معجزاتٍ تُعدّ فى الفاتاتِ
« أنّ أنثى تخلفتْ فى طريقٍ ، وهى كالظبىِ وحدَها فى فلاةِ »
« روعتها عصابةٌ فى كمينٍ ! فهى تحيَى كثيرةِ اللفتاتِ »
« يالها من أسيرةٍ تترامى ، طعمةً للذئابِ فى الفلواتِ »
« راودوها عن العفافِ فراحتْ ، تتأبّى وعقلها فى شتاتِ »
« ثم صاحت .ليبعثِ اللهُ (مارى) قاهرَ الشرّ . جابرَ العثراتِ »
فاذا فارسٌ عليهِ دروعٌ ، فى سلاحٍ . . مسددُ الطعناتِ »
« فرّق الجمعَ يالهُ من شجاعٍ باسلِ الروحِ . فاتكِ الضرباتِ »
« أنقذَ الظبيةَ الأسيرةَ منهم ، وهو يَسقى القنا دِماءَ العصاةِ »

* * *

وأنا .. قد رأيتهُ ذاتَ ليلٍ ، بين نَومى . ويقظتى والتفاتِ !

هابطاً من سمائهِ يتجلىّ ، في ضيائهُ .. رائعُ القسماتِ !
في ثياب .. كأنها النورُ بيضٍ ، وهو فيها كمعجزة المشكاةِ !
قالَ ، ياوردُ ، إن جارَكِ هذا ، خانَ نذري وغضَّ من حسناتي !
سأُعيدَنَّ داءَهُ وشفاهُ ، إن هذا أحقُّ باللعناتِ !

* * *

قلتُ . ياشيخُ من تكونُ فإني همتُ عشقاً بحبِّ تلك الذاتِ
قال : سان جورجُ . إن أردتِ وإلاّ فأنا الخضرُ ، صاحبُ الخطواتِ
أنا عبدٌ ، ظهرتُ قبلُ لموسى ، وهو يتلو صحائفَ التوراةِ
حينما ظنَّ نفسهُ بلغ العلمَ وأوفى به على الغاياتِ
إنّ في الكهفِ قصتي وهي تُتلى في المحاريبِ ساعةَ الصلواتِ

* * *

قد خرقتُ السفينَ في البحرِ عمداً لأُنجي السفينَ من ظالماتِ
وقتلتُ الغلامَ عمداً لأُنجي أبويهِ به من الظُّلُماتِ
علمَ اللهُ أنه سوف يُلقي أبويه على لظى الكفرياتِ
وأقمتُ الجدارَ كيما أواري تحتهَ الكنزَ خيفةَ السرقاتِ
إنه كنزُ صبيةٍ لم يزالوا في بواكيرِ عهدهم بالحياةِ
فإذا بانَ كنزُهم خطفتهُ وهي تجري مخالبُ الخاطفاتِ

* * *

هكذا اللهُ قد أبانَ لموسى ... أنَّ خلفَ الحجابِ سرًا يوارى
أعجمى الشعوبِ يعرفُ قدرى ... والحجيجُ المفيضُ من عرفاتِ
بينما يهتفون فى النيل باسمى ... يتعالى هُتافُهم فى الفُراتِ
أذرعُ الأرضَ كلَّ طرفةِ عينٍ ... وأطوفُ الوجودَ فى لحظاتِ

* * *

obeikandl.com

أخذت صراعات عتبه ، تشق آذان الليل وهو في المسجد يبكي ويسترحم من حب (ريا) . حتى حرك بالأنين قلب السيد ، العابد المتبتل .. وآلى على نفسه ألا ينام حتى يأتي ديار ريا الناز حة ، ويخطبها له مهما كان الثمن .

ونجحت الوساطة . . وعادت ريا في الركب وكاد ينعم العروسان بالحب والقرب لولا هذه الغارة التي حولت النصر هزيمة والفرح مأساة .

obeikandl.com

عَرفَ النُّسكَ . منذ كانَ غلاما سلسلوا .. فى عروقه إسلاما !!
قسمَ العمرَ .. شُعبتين سواءً حجَّ عاما .. وصامَ للهِ عاما !!
ماله ! طاف بالستارةِ يبكى ! ! حمَلَ الحبَّ ثورةً .. ثم هاما !!

* * *

سمِعَ الصيحةَ التى تترامى سيدٌ كان فى المقام لزاما
فتحرى مواضعَ الصوتِ حتى جاء تحت الظلامِ يدعو الغلاما
وإذا وجهُهُ كفلقةِ بدرٍ لبس الغمَّ . والشحوبَ لثاما

* * *

قال: باللهِ مَنْ تكونُ؟ ومن ذا؟ حمَّلكَ الغرامَ . . والأوهاما
قال: ربَّا .. وما وجدتُ كريما! بنتِ غطريف .. تخجل الأفهاما
وأنا عتبةُ . الذى حل قتلى؟؟ فى يديها .. وكان قتلى حراما !!

* * *

هِىَ هاجتْ بلابلَ الصدرِ . لما أقرأتنى . مع الظباءِ . السلاما
خطرتْ بينهن ، وجهَ نهارٍ !! يتخطرنَ .. مثلَ ريحِ الخزامى
ثم قالت: وفدتكَ يا عتبُ نفسى أنت حرمت مقلتى أن تناما ،

* * *

وتنافرنَ فى الخلاءِ ظباءً وتبارينَ فى الفرارِ نعاما

ثم أقبلنَ ذاتَ يومٍ فرادى ... وتنادَينَ . فاختصرنَ الكلاما
قلنَ : «ريَّا ترحلت عن ديارٍ ... لن تراها . ولو ركبتَ الغماما »

* * *

ما الذي . بأبعدَ اليومَ منها ... في سماها . ولا أعزَّ اعتصاما
فأنا ميتٌ ولا شك إنْ لمْ ... يبعث اللهُ منقذينَ كراما
إنَّ ريَّا ابنتُ سيدِ قومٍ ... منعوا صحن بيتها أن يُراما

* * *

أيُّ نارٍ .. حملتها في ضلوعي ... أورثتني على الفراقِ السَّقاما
أيُّ ماءٍ .. كماءِ بحرِ أُجاجٍ ... كلما ذقتُ .. لا يبلُّ الأواما
أترانِي ! بدوتُ إلا خيالا ... أم تراني اغدوتُ إلا عِظاما

* * *

هل أذوقُ الطعامَ إلا ضريعاً ... هل أذوقُ المنامَ إلا لماما
بين أهلي .. ولا أزالُ غريبا ... مسرفَ البعدِ . أقطعُ الأرحاما
كلُّ أهلي .. حمامةٌ في سماها ... تتلقىَّ .. على الوِدادِ حماما

* * *

قال . يا عتبُ ! لا عليكَ فإني ... أحملُ المالَ . غارماً . قوَّاما
لو أرادوا النجومَ مهراً لريَّا ... ما وجدتُ النجومَ أمراً جساما

قمْ . فجئنى . بخيرِ أهلكَ واركبْ كدتَ واللهِ أن تنالَ المرَاما

* * *

ثم سارُوا . ولا تسَلْ كيف سارُوا يعبرُونَ الجبالَ ، والآكاما !
والشهيدُ الذى يتيّمُهُ الحبُّ قتيلٌ تحملوهُ حطَامَا
ربما مالَ فى الطريقِ فنادَى باسمِ ريا حداتهمْ فاستَقَامَا

* * *

وَدَنا الركبُ من خيامٍ سليمٍ فى المرَاعِى التى تفيضُ سوَامَا
وأتى سيدُ القبيلةِ جذلا نَ يضحّى الشياهَ والأنعامَا
وَينادِى العبيدَ من كلِّ صوبٍ أنْ أفيضوا على الضيوفِ الطعامَا

* * *

كرمٌ ذاكَ ! قلما فارقَ العُر بَ وَوَاتى الأخسَّةَ الأعجامَا
قال مَرحَى لكم ! وأهلاً وسهلاً عزَّ ركبُ الحجازِ حيثُ أقامَا
فِيمَ جئتمْ لهُ ! فقالوا : أتينا ؟ نطلبُ الصِّهرَ . رائعاً يتسامَى !

* * *

قالَ أكرِمْ بكمْ وأَنعِمْ ! بوفدٍ . . قد ألمُّوا بأرضنا إلمَامَا
« إن أمرَ التى طلبتمْ إليها . . وعلى الرَّحبِ تنزلون الخيامَا »
« رَيثما أسألُ النجيبةَ فيكم . . ما لإحدَى بناتِنا أن تُضَامَا »

دخلَ الخدرَ .. خدر يا مغيظاً كادَ والله ، أن يَسُلَّ الحساما
(قال : جاءوا ليخطبوك وانى أنا والله . . مقسمٌ أقساما !)
(لن تكونى لحضن عتبة زوجا فى حياتى .. ولو شربت الحِماما)

* * *

بلغتنى مقالةٌ منك شاعتْ آلمتـــنى ، فى سمعتى إيلاما
(لن يقولوا : تزوجت من حبيب راحَ يشدو بحبها مستهاما)
(شمرى فيك .. أنشدته حداءٌ فى البوادى .. فبلغته ، الشاما)

* * *

فأجابتْ . حلفت افارفض كريما يرجع القومُ ، عاذرين كراما
أغلظ المهر للرجال يردوا وإذن .. أنت سالم لن تلاما !
قال : أحسنتِ يا فتاةُ ، وانى لعظيمٌ ، أردُّ عنك عظاما

* * *

فأتى القومَ باسما يتهادَى كالذى شدَّ جرحهُ ، فالتاما .
قال ياقومُ : « مهرها ألفُ بكرٍ لم تزلْ لهَا الرعاةُ خطَامَا
« وثيابٌ من الحرير رقاقٌ وعبيدٌ يطأطئونَ الهَامَا

« * »

(وتغالى .. فعدَّ ألف ثمين ؟ من حلاها . . وعدد الأرقاما

والأميرُ العظيمُ يسمعُ منه ! راضى النفس ضاحكاً بسّاما
كلما قالَ حاجة : قال تُقضى قبلَ أن تَنهضَ الركابُ قياما

* * *

وأقيمتْ ولائمٌ . . ما رآها عبشميٌّ الملوك الا هشاما
ثم عادُوا بهودج فيه ريا ! يتعالى على الملوك زحاما
والأناشيد . . ملأ الرحبَ شدوا ! والمزاميرُ . . ترسلُ الانغاما

* * *

وأغارت ، إغارةَ صبحتهم قبلَ أن يبلغوهُ بيتاً حراما
وانبرى عتبة فصاح عليهم صيحة الليث خادراً هجاما !!
فرقَ الجمع وحدهُ فى كفاحٍ ملأ الأرض والسماء قتاما !!

* * *

يالهذا الشجاع أخّرهُ الطعنُ وريّا تزيدهُ إقداما
وهوَت تلثمُ الجريحَ المُسجّى وتُنادى صريعها الضّرغاما
« أىُّ عيش . لبنت عمّكَ يحلو؟ يافقيداً . . فقدتهُ مقداما »

* * *

وعلت شهقةٌ ، فكان صداها ! روحُ ريا إلى السماءِ تسامى
وعروسين ، لم يطيبا بعُرسٍ؟ فى حياةٍ ، ولم يذوقا انسجاما

كان اقصى مُنَاهُمَا ، أن يعيشا؟ فمَشَى الموتُ ، يَجْمَعُ الأجساما

« * »

وَبدَا للامير بعدَ سنينٍ أَنْ يَزُورَ المرافقيه القُدَامى
فأَتى القبرَ ، والقبورُ سِتارٌ فيه تَطوِى السنينَ والأيامَا
فرأى شجرةَ العروسين قامتْ وإلى ظلها العروسان نامَا

« * »

شجرةٌ تبعثُ الغَرابَةَ فى النفـــس تثيرُ الرياحَ والأنسامَا
وَرَقٌ أبيضٌ وأحمرُ وأصفرُ وغصونٌ مُدليَاتٌ يتَامى
ما رأى الناسُ مِثلها فى فلاةٍ ؟ رَحِمَتْ رحمةً ؟ ورفت سلاما

لينعم ابن الخطاب بالزهد بالا !
وبالعدل فى الرعية ، قدوةً ومثالا !
أقام ميزان الحق . وبسط جناح الرحمة !
فسعدت تحت لواء الاسلام شعوب !
مزقت جلودها سياط الروم والفرس !
يلوذ به مصرى ظلمه ابن والى مصر !
فيمكن المظلوم من الظالم ومن أبيه !
ثم يصرخ صرخته المدوية فى آذان الدنيا :
متى استعبدتم الناس ! وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا . . !

obeikandi.com

كان للروم دولةٌ ، فطواها ... من طوى الروم ، أرضها وسماها
وجرتْ خيلهُ ، على كل أرضٍ ... دنّسَ الرومُ بالفجورِ ثراها
ذاك عمروٌ ، ومن تجاهل عمرًا ... دهمته الفتوحُ ، فى مسراها
فاتحٌ ينقذُ الشعوبَ من الأسـ ... ـر ويسرى ، مُتوجا برضاها

* * *

جاء مصرا ، ونيلها يتشكّى ... طُغمةً فيه أسرفتْ فى أذاها
فتولاه ، منقذٌ عبقرىٌّ ... شبَّ حربا ، تغولُ من يلقاها
ومشى والكتابُ بين يديه ... شعلةُ الحقِّ ، نورت فى دجاها
لاتسلنى ، بقائدِ العُربِ جاها ... بلغ النجمَ ، والسمواتِ جاها

* * *

وابنُ عمرو ، فتى ، عفا اللهُ عنه ... كان للبغى ، فعلةٌ فاتاها
فوق مهرٍ ، كخاطف البرق يدعو ... من يباريه ، فاخرا ، تيّاها
هابهَ الناسُ فى السباق جميعا ... وهو فى ثوبهِ المقصّب تاها
عربىٌّ ، على جوادٍ ، أصيل ... قد تعالى ، بجاهه وتباهى

* * *

فانبرى فارسٌ إليه فبارا ... ه فألقتْ له الجموعُ انتباها
فارسٌ كان من فوارس مصر ... مُهرهُ النسرُ ، يغلبُ الاشباها !
وابنُ عمرو ، أمير مصر مُصلٍّ ... خلفه ، فى هزيمة ، ما اشتهاها
والتصافيقُ تملأُ الجوَّ شدواً ... والهُتافاتُ ، تملأ الأفواها

هُـزمَ ابنُ الأميرِ فى مهرجانٍ شهدتهُ البلادُ ، من اقصاها
فتمشّىَ إلى ابنِ مصرَ مغيظاً يضربُ الفائزَ الكريمَ سفاها
وهو يُلقى مقالةَ الزورِ شاهتْ قولةُ الزورِ فى الزمان وشاها !
« كيف تعلو على ابن سيدِ مصرٍ كيف سامىَ عبيدها مولاها » !!

« * »

وانطوتْ ساحة السباق ولكن لا لتمحى من الورى ذكراها
فرتحت الظلام فارسُ مصر وهو يطوى بلادَهَا وقراها
عبرَ الشرق للحجـــاز وفيه عُـمَـرٌ ، عزّ أمةً قد رعاها
مستعيذاً به ، وايّ معاذ . بعده قائمٌ يخـــاف الله

« * »

الاميرُ الذى ، غزا الملكَ بالعد ل فأمسى ضعيفها أقواها
الاميرُ الذى ، تلفتت الدنيا إلى صولجـــانهِ ، تحماها
الاميرُ الذى ، ينامُ على الشّر ب ، ويبكى لآيةٍ قد تلاها
الاميرُ الذى تصولُ عصاهُ فىَ قفا الظالم الذى قد عصاها

« * »

بعثَ ابنُ الخطاب يطلب عمرًا ولعمرو جنـاية ، ماجناها
قال : ويلىَ من الخليفة ويلى !! إنهـا هفوة الغـــلام هفاها
كم تمنيتُ ، لو لحقتُ ابنَ مصر قبلَ أن تبلغ الامور مداها !!
كنتُ خففتُ غيظه باعتذارى وتداركتُ شكوةً قد شكاها

وأتى موسم الحجيج ، وجاءت أمراءُ الشعوب من أدناها
يحملون الخراجَ من كل أرض شاعَ دينُ الرسول فى دنياها
ندوةٌ تجمعُ الولاةَ جميعًا عُمَرٌ كان قطبَها ورحاها
تتلاقى على المشورةِ والخير ويُدلى برأيهِ من رآها

« * »

وابنُ عمرٍو ، مُطاطئ ، وأبوه يذكرُ السوأةَ التى فعلاها !!
وابنُ مصرَ ، الذى هما ظلماه نازلٌ فى كرامةٍ ، يرضاها !
خصَّه السيدُ الخليفةُ بالقر ب وكانت حوائجٌ فقضاها
ورعى فيه (قبطَ) مصرَ جميعا لوَصاةٍ ، نبينا ، أوصاها

« * »

قال : يارزقُ ! خذ عصاى فضَعها حيثُ تَرضَى ولا تَخف عقباها
دونكَ ابنَ الكرام ، فانهض إليه واضرب الهامةَ ، التى تخشاها
ذاك يومُ القصاص فاضربْ كريما يحسَبُ الناسَ أعزلا وشياها
انما الناسُ فى القصاص سواءٌ هكذا : جاء فى شريعةِ طه

« * »

فتلقى غريمَهُ بعصاهُ ؛ وبهِ غُلَّةٌ . غلتْ ، فشاها !
بين جمعٍ من الولاةِ رهيب ! خطةُ العدلِ قد جرت مجراها
يأخذُ الحق للضعيفِ أمام للموازين ، عادلا ، أجراها !

قال . يارزقُ لو بدأت بعمرو ؛ فضربت الأمير أمضيناها !

* * *

قال : مولاىَ قد أخذت حقوقى من غريمى ، ولا أريدُ سواها
فتنزّى خليفةُ الله غيظا ثم أدلى ، بحكمةٍ ألقاها !
« قال : ياعمرُو هل أخذتم عبيدا لكمو الناس ، ساءَ ذاك اتجاها »
« من يسوسُ الشعوب أو يرعاها فهو عبدُ الشعوب ، لا مولاها »

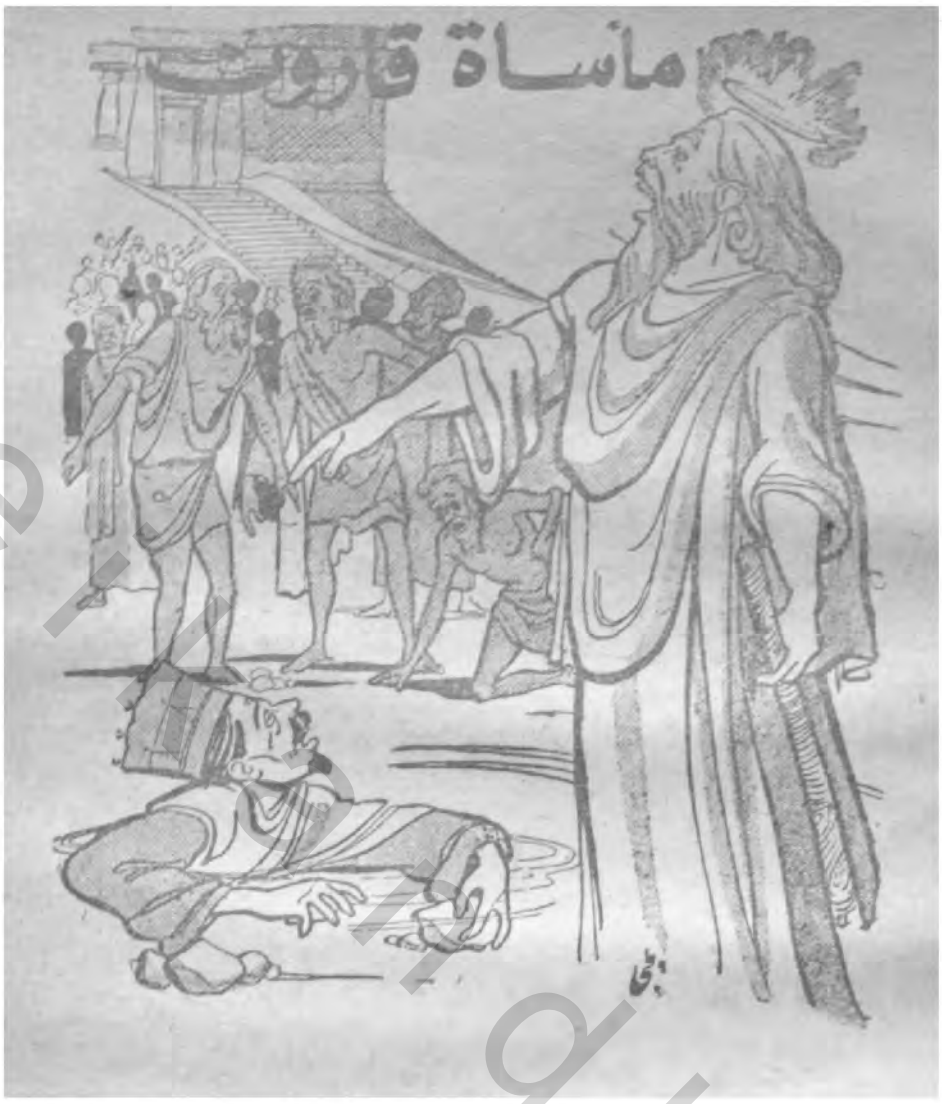

تبًّالك ياقارون. . وتبا للاقطاع ! !
تطاول الكليم . . بذهبك ودنانيرك ! !
تزعم أن السماء أخطأتك والقت بالنبوة لموسى :
وتريد الشركة فى الأمر بغياً وعدواً ! !
فإذا قال الكليم الأمر لله لا لى !!
مكرت وغدرت ، ورميته بالزنا بغانية خليع ! !
ثم أنطقتها السماء بالحق وأخرست لسانك
وخسفت بك وبدارك الأرض ! !
فكنت عبرة وذكرى ! !

obeikandl.com

مد قارونُ أنفَهُ كبرياءَ وتعالى ، برأسه خُيَلاءَ
وأكتسى ناعمَ الحريرِ وأمسى يمتطى أكرمَ الجيادِ امتطاءَ
مسه الخيرُ فاستطال على النا سِ يباهى بجاهه الأنبياءَ
غلب الجهلُ والغرورُ عليه فتحدى الحياةَ والأحياءَ
قُتِل المرءُ ماله راح يطغى وهو يرجو من السماءِ عطاءَ

« * »

خَبَّ فى عيدهم وراح وجاءَ فى جيادٍ ، أصيلةٍ ، بيضاءَ
فى سروجٍ ، مذهبات غوال فى عبيدٍ يُسخَّرونَ سواءَ
فغدا القومُ ينظرونَ اليه نظراتٍ مليئةً أهواءَ

« * »

يتمنون جاهَهُ وغناهُ ونعيما ، صفا له وهناءَ
وكنوزا ، ذهبن فى الأرض طولا وانتظمن البيضاءَ والصفراءَ
وزروعا ، على جوانبِ مصرٍ ورياضاً ، كريمةً خضراءَ
وبساتينَ ، يكتسين بهاءً ومقاصيرَ يبتسمن رُواءَ

« * »

جنةٌ عند بركةٍ ، عند نهرٍ عند كرمٍ ، يُظلِلُ الصحراءَ
عند حظٍ يقول للارضِ هاتِ فاذا الارضُ فتنةٌ تتراءَى
يفرك الترُبَ فى يديه فيجرى ذهبا سائلا ، وحبا ، وماءَ

عاثَ فى الأرضِ لا يَدينُ بشىءٍ غيرَ انْ يعبدَ الالهَ رياءَ
بينما كان همُّه وهواهُ أَن يباهى . لذاته العلماءَ
قال ياقومُ : ماتغانيتُ الا أَننى كنتُ أَحذقُ الكيمياءَ
انأَ أوتيتُ فى البريَّةِ علما لاأَرى لى فى أَمرِهِ شركاءَ

« ٥ »

واستطال الخبيثُ يذكرُ موسى ، والرعاةَ الأذلةَ ، الفقراءَ
والعبادَ الذين فى الارض تاهوا يأكلون الجرادَ ، فى سيناءَ
يلبسُ الخزَّ والحريرَ . ويمشى خلفَه الناسُ يلبسون الفراءَ

« * »

كان كالسامرىِّ حين تولى يفتنُ الناسَ ، فتنةَ عمياءَ
ذلك العالم الذى خان موسى فجناها ، جنايةَ . نكراءَ
حينما كان غائبا . يتلقى من هدايات ربه أشياءَ
جاء هذا بحفنة من ترابٍ من مكان ، اليه جبريلُ جاءَ
وبنى . من حُلىٍّ أقباط مصرٍ جسداً ، يشبه العجولَ انتشاءَ
قذف الترابَ . فى حشاهُ فأمسى ناطقا . غن بهيمة ، خرساءَ

« ٥ »

قال : هذا الهكمُ ، فاعبدوه تجدوا ، عن إله موسى عزاءَ
ماترون الحياةَ تنبضُ فيه فتزيدنَّ . صورته . استعلاءَ

ثم جاء « الكليمُ » فاحترق العجلُ ... وأمسى مع الهواء ، هباءَ
وارتدى السامريُّ وهو ولىٌّ ... لعنةَ الأرض والسماءِ ، رداءَ
فجمعَ العلمُ والفطانةُ فيه ... واستحالاً أكذوبةً ، جوفاءَ
مالقارونَ ! لايريد اعتبارا ! ! ... مالقارونَ ، لايريد اهتداءَ
غلبت شقوةُ الحياةِ عليه ! ! ... قتلَ المالَ . زاده إغراءَ

« ٥ »

راع « موسى » بخزيةٍ تتنزى ... فتنةً ، واستطالةً واجتراءَ
قال : هاأنتَ . . قد بعثت نبيا ... وأخوك ارتقى التخومَ ارتقاءَ
وأنا السيدُ المطاعُ . . أرانى ! ... ضعتُ فى الناس مابلغتُ رجاءَ
اجعلانى ، على الأمور وزيرا ... أنا أدنى ، قرابةً ، وولاءَ ! !

« ٥ »

قال موسى . . تريدُ أمرا عظيما ... ليتَ « ياقرنُ » كانَ لى أن أشاءَ
أنا . . لم أمنح النبوةَ نفسى ... أنا . . لم أنتخب لها الوزراءَ
إنما كنت عبدَهُ ، جلَّ ربى ! ! ... ان لله ، حكمَهُ والقضاءَ ! !

« * »

وانتهى عندها الحديث ولكن ! ... مايسرُّ الحسودَ ، هذا انتهاءَ ! !
انه يُضمِر العداوةَ والشرَّ ... ويمشى ، يثيرُها ، شعواءَ

وإذا آيةٌ من الله جاءتْ ، ترجم الزنا ، فى حدودِه والبغاءَ

* * *

وتداعَت لها بجامعُ موسى تتلقى الصدورَ والشُّرفاءَ
كان بين الجميع قارونُ يخفى عن بنى الأرض نيةً سوداءَ
قال إنى سمعتُ منك وإنى أنا أدعوك راضيا لامرأةٍ
« اقتلوهُ بذنبهِ ! ! إن أتى شهدت أنه أتى الفحشاءَ »

* * *

رَفع السترُ ، عن فتاة لعوب عرفوها ، وضيعةً حسناءَ
سألوها التشهيرَ الحق فيه وهى تُدلى ، بذنبها إدلاءَ
فتراخت ، وأحجمت ثم قالتْ : عَلِمَ اللهُ ، أنه ما أساءَ ! !
إن قارون ، زجنى فى كنوز من دنانيرَ . . ينتفضن ضياءَ
وحبانى جواهراً وعطـــايا كى أؤدى ، شهادةً بلقاءَ

* * *

قال موسى : اليكَ يا ربِّ أمرى ! ! أنت أبرأتَ ساحتى إبراءَ !
أنتَ بوأتنى . مكانا رفيعا ! أنتَ جنَّبتَ آل مَوسى البلاءَ
أنتَ كلمتنى ، ولم يك عبدٌ قبلَ موسى . . ينالُ هذا الرضاءَ
ربِّ خذْ لى ، من الأثيم بحقى إنه جاوزَ الحدودَ ، اعتداءَ

* * *

فتلقّى من السما كلمات ! فهو يحنى . برأسه إصغاءَ

* * *

قالَ : ياأرضُ قد بغى فخذيه ثم ضمّيه ، ضمةَ عسراءَ
وهو يرجو، فلايغاثُ ويدعو أذنا . . عن دعائهِ صمّاءَ

* * *

وأتى القومُ ، يشهدون صريعا كان بالأمس يملأ الأجواءَ
وَيَ كأن الالهَ يبسطُ فى الرزقِ ويهدِى . عبادَهُ الأصفياءَ

obeikandl.com

سمراء حلوان

تعالىْ إنَّ حلوانَا صَفَتْ . رَوحًا ، ورَيحانا
وعادَتْ وَحدها الدُّنيا وكانتْ بعضَ دنيانا

* * *

وَقدْ كنا .. نلبيها إذا ماالشوق . . نادانا
وَقد كنا .. إذا اخضَرَّتْ زروع الأرض رعيانا
وَقد كنا .. إذا دقتْ طبول المِسكِ . . رهبانا

. . .

تعالىْ إنَّ فى الوادى أزاهِرًا . . وأفنانا
تعالى نبتنى عشًّا نردد فيه نجوانا
فما كنا سوى نحل طردنا . . من خلايانا

* * *

أبيت الظِّل حرَّانا وعِفتُ الماءَ ظمآنا
على سمراء . . لم أعدلْ بها إنسا . . ولا جانا

* * *

وما شئناه سلوانَا ولا شئناه . . هِجرانا
كِلانَا . . عض كفَّيهِ على مافاتَ نَدمانَا

obeikandl.com

الازاهير والمروج

الأزاهير والثَّدا والصَّفاءُ والمروجُ النضيرةُ الخضراءُ
والطيورُ الى الفِنا الغنّاها والسهولُ التى سَقَتْها السماءُ
والمراعى الحسانُ والزَّهرُ الخُضر وشىء نسيتُ بل أشياءُ
كان هذا يُثيرُ شوقِك بالأ مس فنمشى ونحنُ فيه سواءُ

* * *

كلُّ هذا سريتُ بعدكِ فيه ليتَما طابَ لى به إسراءُ
راعنى صمتُه الرهيبُ وماكا نتْ تروعُ الخميلةُ الخرساءُ
وكأنى أسيرُ فى غيرِ شىءٍ مات حسى ، وماتت الأصداءُ
وكأنى ذهبتُ أندبُ نفسى وهى تمشى كأنها البلهاءُ

* * *

أينَ وعيى وأينَ فرحةُ شعرى والمقامُ الكريمُ والأفياءُ
نحن كنا ومايُرجىَّ التنائى ثم صرنا: ومايُرجىَّ اللقاءُ
مابقائى وقد تخلف صحبى عن ذيار يطيبُ فيها البقاءُ
أناوحدى قطينُها أنا وحدى والمطيفون حولَها غرباءُ
أنا وحدى رعيتُ حقَّ ودادى بينما الناس والوداد رياءُ

حامت الطيرُ حوله طائفاتٍ تتناغى . . بأعذب الأصواتِ !
وابن داود . . فوق عرشٍ عظيم ينقل السمع . . بين هذا وهاتى
تفهمُ الطيرُ . مايقولُ وتصغى لسليمان . سائر الكائناتِ :
لم يفته ، بمنطق الطير ، علم إنه البحر . . حافل باللغاتِ
يعلمُ القولَ ماتقولُ وتحكى كلُّ ذاتِ الجناح ، والريشات
تنطقُ الخُرس عنده كاللواتى تملأُ الأرض والسما . صدحات
كان يقضى لها . . فيعدل فيها ، وهى ترضى بحكمه . . طائعاتِ
منصفُ القاعدِ الضعيف من الطـــير . . عدوُّ الصقور والبازاتِ
قد رعى أمة الطيور فذاقتْ نعمة الامن . فى رحاب الفلاةِ
قال : مالى أرى الطيورَ تواتى وأرى الهدهد الفتى . . لايواتى
ويل هذا الشقىِّ . . يعرضُ عنى ويباهى . بتاجه ، فى العصاة
وجبت نقمتى عليه . . وحلتْ أينما حل هدهدٌ ـــ لعناتى
سيذوقُ العذاب إن هو أبطا أو يموتنَّ . . كالقساة ، الجفاةِ

أو يعودَنَّ . من مُسراه بخيرٍ أنا برٌّ . . بصانع ، الخيرات
قيل . . ماذا من العذاب يراه . ملكُ الأرض للاثيم العاتى
قال . . أحييه . . آنسا بغراب فى عذاب النوى وذلّ الشتات
أنا أشقيه ! ! باحنين إلى الجنـــــس . وأفرى حشاه بالذكريات
ربما مات . . فاستراح ولكن ! من يطيق الرضا . بذلّ الحياة ؟
وإذا الهدهدُ . الذى غاب آت ! طائرَ العقل حائر اللفتات !
قال : إنى وجدتُ فى الأرض أنثى فتنتنى . . كأجمل الفاتنات
ولها صولةٌ ، وعرش عظيم ولقد عز مثلها - فى الولاة
تعبد الشمسَ . ربَّها ، وذووها حول عرش الجمال كالهالات

° ° °

قال : خُذ ذلك الكتاب فألقه فعساها . تكونُ ، أكرم آت
ولئن كنتَ قد كذبتَ علينا لتموتن . . أشأم الميتات !

° °

طار . كالسهم قد رماه عجولٌ أو كضوء . أشعَّ من شمسات
أو شهاب . أصابَ فروةَ ليل ، فمحا . . من سوادها - شعرات
وأتى القوم (فى سبا) وسباهمُ جنةُ الأرض . . رحبةُ الجنبات
أرضها المسكُ . فاح عرفا وطيبا وثراها . . مذهبُ الحصوات
والبساتينُ . تملأ العين زهراً وتجلى عرائسا . ناهدات
طابتِ الجنةُ ! بالتى تشتهيها ، كلُّ نفس . . تحنّ للذات

أرضُ (بلقيسَ) فتنةُ الأرضِ هذى ... أم تهاويل . . من خيال الرواةِ ! ؟

ثم ألقَى الكتابَ ، بين يديها ، ... وتنحَّى . . على مدى ، خطواتِ !

وسليمان ! بينَ إنسٍ . . وجنٍّ ! ... غارق الوعى . . حالمٌ بالنجاةِ !

شفه الحبُّ . . أم رأى أن ملكاً ، ... كيف ألقَى عنانه لفتاةِ !

حيرةٌ . . تذهل النبىَّ عن الرأ ... ى وتدعو . . لجمع رأى الثقاةِ !

يستشير الجلوس . . من كل جنسٍ ... والعفاريت !! من جميع الجهاتِ !

جمعَ الكلَّ . . ندوةٌ ، فى صعيد ، ... والشياطين . . متعة الندواتِ !

هالَ بلقيسَ . . من سليمان أمرٌ ، ... قد دعاها . . ومالها من فواتِ !

قالت : الرأى يا رجالَ بلاطى ، ... لكمو . . لست استقلُّ بذاتى !

هو شورَى ! ولست أحكم شعبى ، ... أنا وحدى . . كمثل حكم الطغاةِ !

قال شيخٌ مجربٌ !! نتقيه . . . ... إنه الغزوُ جاء . . يا مولاتى !

عند ما تخطر الملوك بأرضٍ . . . ... تضرب الذلَّ عاصفاً . بالسراةِ !

إنه الفتح . . ليس يرحم منَّا . . ... ربَّ تاج . . ولا أخا بقراتِ !

المعزُّ . . المذلُّ . . سوف يوافى ... فى أشداءَ . . بالنبال . رُماةِ !

قالت الرأى . . أن أسير إليه ... فى هدايا . . نفائس . . طيباتِ !

وأنى الهدهد . الحصيفَ عليه ... من سمات النجاح ، أبهى سماتِ !

قال . . . شدّتْ رحالها لك تـ . . . ... وسبقت الركابَ . . . بالبشرياتِ !

فاستوى السيد الحكيم على العر ... ش يوالى الدعاءَ . . . والصلواتِ !

ربِّ . . . إنى لقد وهبتك نفسى ! ! ... أنتَ ملكتنى . . على الكائناتِ !

أنتَ . . آتيتنى على الناس ملكاً ! ! ... آمنَ السِّربِ . . واسع الرحباتِ !

ليس يؤتاه . . مالكٌ جاء بعدى ... في العصور . . المديدة . . الآياتِ !
أنت . . سخرت لى . . الرياح لتجرى ، ... طوعَ أمرى ، كمثل ، جرى الفراتِ !
أنتَ . . سخرتَ لى البساط عليه ، ... أتخطى . . مخاوف . . الفلواتِ !
أنا . . يارب ! فوقه بجنودى ، ... وجيادى . . الأصلية ! الصافناتِ !
أنت . . سخرت لى الشياطين تسعى ، ... مُمطعاتِ الرقابِ . . منحنياتِ !
أنت . . سخرتَ لى . . من الجن جندا ، ... قد بَنَتْ لى . . المدائن الشامخاتِ !
أنتَ . . علمت آل داود علماً ، ... وتجاوزت شكرهم . . بالهباتِ !
أنتَ . . نورتَ فى الصدور قلوبا ، ... هى لولا هداك . . . فى ظلماتِ !
وأفاق الحكيم . . من سكرةِ الرُّو ... ح !! فألفى جموعه . . حاضراتِ !
قال « ياجنُّ ! من يطير فيأتى ! ... عرش بلقيس قبل كر الغداةِ ؟! »
قال « سنسى » أروح بالعرش وحدى ... قبل أن ينهضَ الحكيم وآتى !!
فازدرى الرأى آصف بن بَروخٍ . ... ومضى ثم عاد . . فى لحظاتِ !!
لم يغبْ عنه ، غير طرفة عين . ... طافَ فيها الوجودَ فى وثباتِ !
وإذا العرشُ حاضرٌ . . يتسامى ... عن عروشِ الملوك والملكاتِ !
صفقوا لابن برخياَ طويلا ، ... إنه كان بارع . . الخطفاتِ !
أمُّه خالة النبىِّ سليما ... نَ . . وأنعمْ بتلك فى الخالاتِ !
وبنى الصَّرح . . من زجاج شفيف ، ... رائع الصنع . . بارع الشرفاتِ !
بنية ! أبدع الشياطين فيها ، ... تتحدى الروائعَ . . الخالداتِ !
ورأى الناس فيه بلقيس تمشى ، ... تكشف الساقَ مثل مشى العراةِ !
إن بلقيس تحسب الأرض ماءً ، ... فهى تمشى تخوض . . فى لجّاتِ !
إنما مردوا القوارير حتى ، ... تتراءى !! جداولا صافياتِ !

ويح بلقيس إنها بنت جنّ ، ورّثوها ، حوافراً ، بارزاتِ !
نقلتْ مثل حافر البغل رجلا ، فضحتها !! منابتُ ، الشعرات !
وتناهتْ إلى مقام كريم ، فيه عرشٌ .. يضيءُ كالمشكاةِ !
قِيل هذا كمثل عرشك! قالت: هو عرشي المحبّبُ الجلساتِ !
فاصطفاها الحكيم زوجاً وكانت: فتنة الدهرِ آيةَ . . الآياتِ !

obeikandl.com

عند ما وقف الشاعر أمام مسجد ابن طولون . ومئذنته المتطاولة فى الفضاء تسخر بها منها من الفناء .

ندت منه خاطرة عبر الأجيال ، فرأى مصر الراقدة فى أحضان القصور الطولونية ، المموهة بالذهب ، وقد وشّتها النعمة الفارهة ، وجلاها الغنى فى تاج العروس .

وتحت عيون هذه الأمجاد الشواخص . تقع قصة أحمد اليتيم .

قصة الرجل الوفى لمليكه . تكيد له المرأة الغادرة فينجو البرىء ويقتص القدر من المسىء

طيّب اللهُ ذو الجلال ثراهُ ، ملك كان فيه نبلٌ وجاهُ !

ابن طولونَ أحمدٌ وكفاهُ ، أنه ضمَّ مهملاً ورعاهُ !
إذ رأى الطفلَ في الطريقِ لقيطاً ، قد رماهُ على الثرى أبواهُ !
فحنى ذلك الأمير عليه ، ثم سماه باسمه ودعاه !
ونما الطفل في كفالة راعٍ ، طيبِ القلب صانهُ واصطفاهُ !!
فرعى ذلك الجميل وأبدى ، صادقَ الحبِّ للذي رباهُ !!
وغدا ذلك اليتيمُ أميناً ، لابن طولونَ ماله أشباهُ !!
نافذَ الأمرِ حاضرَ الرأي يقضي ، حاجة الراغبين في مولاهُ !!
ثم مات الأميرُ والملكُ يزهو ، وأبو الجيش لم يزل في صباهُ !
فغدا أحمدُ اليتيم مشيراً ، لأبي الجيشِ موضعاً لرضاهُ !
يبذلُ الرأي والنصيحة لا راءَ ى لفردٍ على الأمير سواهُ !
قد حباهُ خمارويه مكاناً ، في نظام الأمور ما أعلاهُ !
وتولىَّ خمارويهِ فتىً ، دولةً شد ركنها ساعداهُ !
مستقلاً بملكِ مصرَ رحيباً ، وقف الدهرُ حائراً في مداهُ !!
عندَ طوروس قد رسا مبتداهُ ، وعلى رأس برقةٍ منتهاهُ !!
دولةٌ كانت القطائعُ فيها ، درةَ التاجِ ما علا التاجَ جاهُ !!
وأبو الجيش تائهٌ في غناهُ ، تملأُ الرحب دورُهُ ونساهُ !
قد كسا النخلَ فضةً ونحاساً ، وبنى القصرَ لا يُرامُ ذراهُ !
صالَ بالجيشِ فوق سبعين ألفاً ، فغزا الشرقَ فاتحاً وطواهُ !
ورأى الملكَ في خلافةِ بغدا ، دَ مباحاً ، فباعه وشراهُ !
صاهرَ السيدَ الخليفة أو قلْ ، ساق قطرَ الندى له فرشاهُ !

ناعمٌ . فوقَ زَنْبقٍ ، فوقَ جلد ، فاذا نامَ حاطَهُ أسْدَاهُ !
سَهِرتْ عينهُ ومن حازَ ملكًا سَهِرَتْ حول ملكهِ عيناهُ !
قال : يا أحمدُ التمس فى مكانى خاتَمَ الملكِ طالما أنساهُ !
فمضى احمدُ اليتيمُ بعيدا ، وانثنى راجعا به ، فأتاهُ !
لم يُحَدِّثْ أميرَهُ عن خفايا ، فى قصور الأميرِ مما رآهُ !!
إذا رأى مخدع الامير وفيه ، تتلاقى فتاتهُ ، وفتاهُ !!
إذ ألحَّتْ على اليتيم لتُغريه فولىَّ بزهده ، وتقاهُ !!
قال ما قالَ يوسفٌ لِزُليخا ، ورأى الاثمَ عاريا ، فأباهُ !!
وانطوى أحمدُ اليتيمُ على السرِّ صموتاً . كأنه ما وعاهُ !!
ولقد مانت الحَظِيَّةُ خوفا أن يكونَ اليتيمُ قد أفشاهُ !!
واليتيمُ الأمين يوغل فى الصمت كأن الآلهَ قد أوصاهُ !!
ليس يعنيهِ أن يُشيعَ أمورا تشغلُ السيد ، الذى يرعاهُ !
ولأمرٍ من الامورِ تخلَّى ، عن أبى الجيشِ قلبهُ وهواهُ !
شَغَلته عن الحظايا فتاةٌ ! شاعَ كالشمس حسنها فغزاهُ !
ذات رأى وحكمة وجمال ، سجدتْ تحت حاجبيه الجباهُ !
فنهى نجوى الأميرِ فى سلواه وهى سلوى الأمير فى نجواهُ !
قالت المرأة الخئون لعمرى ، إنَّ كيدَ اليتيمِ قد أقصاهُ !
سأكيدَنَّ لليتيم فأمحو ، ظلَّ هذا اليتيم من دنياهُ !
وأتتْ تنشد الأمير وتبكى لاعِجَ الصياحَ ، واذلاهُ ، !
قال . ماذا عراك ؟ قالت عرانى أن هذا اليتيم — تبت يداهُ !
رام ، مالورآه . منه أمير ، حزَّ با لسيفِ رأسهِ أو نفاهُ !

قال : عودي إلى مكانك إنيّ سوف أدعوه ، كي ينالَ جزاهُ
ودعا صاحب الخزانةِ والسيـــف فأصغى إليه إذ وصّاهُ
قال : إن جاءكَ الغداةَ رسولٌ طالباً منك جوهراً يعطاهُ !
فاعلُ بالسيف رأسه وليجئني رأسه قبل أن تجفّ دماهُ
ودعا أحمـــدَ اليتيم فلبى ، جاهلا ، من أميره ، مانواهُ !
قال : عرج على الخزانة إنا ، قد منحناك جوهرا ترضاهُ !
محنة جاءت اليتيم من الغيبِ ولكن وفاؤه نجـــاهُ !
قد أرادوه كي يموتَ ولكنْ كتب الله عنده مَحياهُ !
راحَ يسعى إلى الخزانةِ فاجتـــاز طريقاً ، فعاقه صاحباهُ
أرسلا ، عنه خادما ، حمّلاه ؛ ما أتى أحمد له فقضاهُ !!
واذا رأس خادم في وعاءٍ ! في يمين السياف قد غطاهُ !!
فقضى أحمـــد به يتنزّى فيـــه نبض تفتحت عيناهُ
بلغت دهشة الأمير مداها وتدلت لهولهـــا شفتاهُ !
قال قل لي : ترى أمات مسيئا أم بريئاً ؟ سعت به قدماهُ !
قال : بل ظالما ، لئيماً ، خسيسا خان عهد الوفاء ، من مولاهُ ؛
وقضى الله أن يبوح بسر بالغ القدر ، ظالما أخفاهُ ،
قال . يا أحمد صنعتَ جميلا ؛ هو دين على لا أنساهُ !
أنت هارون قد وفيت لموسى واخ محض الوفاء أخـاه !
ضمه ، ضمة الذى يهواه وعلى الأمر كلّه ولاهُ ،
وعلى المرأة التى ظلمته دار بالسيف دورة فسقاهُ .

إنى دعوتُ ، شمردلا ، فأجابا ... وكأنما يتلو علىَّ كتابا !
هو طائرٌ فى الكائنات محلقٌ ... يطوى العوالمَ جيئة وذهابا !
متحدثا ، عنى وعنها لم أسلْ ... عن مطلب ، إلا أجابَ صوابا
وكأنما هو كان ثالثَنا الذى ... يحصى علينا فى الحياةِ حسابا !
لا يعترينى الشكَّ فى تصديقه ... واهاً شمردلُ ! لم تكن كذابا !

« ٥ »

نبَّأتنىَ أنى هجرتُ لاتفه ... الأشياءِ منتحلا ، لها أسبابا !
وأنا الذى شئتُ القطيعةَ عامدا ... وسددتُ دون لقائها الأبوابا !

obeikandl.com

وذكرتَ لى بالأمس من أوصافها صورا سجَدتُ لصدقها إعجابا
سميتهما ، وذكرت أن مكانها أدنى الأماكن ، والبقاع رحابا
وذكرتَ لى الدار التى حلت بها والاعينَ النجلاءَ والاهدابا !
وجريتَ فى ذِهْنى وموضع سرها فرأيت جوا ، قاتما ، وضبابا !
ورأيت نارا فى الضلوع تأججت وهوًى ، تقاسيه أسًى ، وغلابا !

. . .

صادقتَ ميمونا ، على اقواله وصدقتما بالإفصاحَ والإعرابا !
فعلمتُ ، يا طيارُ انك عاصفٌ يرقى ، الفضاء ، محلقا جوابا !
كم شقة فى الأرض أنت طويتها وشققتَ فى جو السماء سحابا !

. . .

آمنتُ أن الله حجّبكم وما ألقى عليكم ، فى الخفاء حجابا
فترونَنا ، من حيثُ لا ندرى بكم وتخالطون الروحَ ، والأعصابا
وتحدثون بكلّ غيبٍ يُشتهَى لا تبتغون ، على الحديث ثوابا !

. . .

اللهُ ميزكم ، بلطف جسومكم وبأنها نارٌ ، ولسن ترابا !
وبأن أعينكم ترى فى مدها ما كان عن وهمِ الخلائق غابا

. .

حادثتُ منكم سيدين فعدتُ لا مستنكراً ، أمرا ، ولا مرتابا

قد أخبرا أمرا فكان ، وحدثا أمرا يكونُ ، فوفّقا وأصابا
وأتيتَ ، يا ميمونُ ، ترشدنى فما أنكرت منك ، المنطق الخلابا
حدثتنى عنكم حديثا جامعاً ضمنته ، الإيجازَ ، والإطنابا

. . .

فذكرت أنكمو جنود للذى قهر الجنود وألف الأحزابا !
يقضى ، سليمانُ ، الحكيمُ بأمره فيكم ، ويرفع سوطَهُ إرهابا !
شيدتمو ملكا له لاينبغى الا لمن تخذ الرياح ركابا !
كم من جفانٍ فى رضاه صنعتمو وأقمتمو فى ظله محرابا !
ورفعتمو صرحا إليه مُمَرداً وملأتموه ، زخارفا وقبابا
وبنيتمو التمثال . فى طاعاته عجبا من الفن ، الرفيع عجابا

. . .

ونقلتمو ، فى لحظة ، من ملكها بلقيسَ ، أمنع ما تكونُ جنابا
ألقى اليها خادم بجناحهِ وعلا ، بها نجما ، وطار شهابا
وأتى بها ، مغلوبة عن أمرِها لا تستطيع ، لخادم اغضابا !

. . .

وجرى بساطُ الريح فوق ظهوركم يحتلُّ أعناقا لكم ورقابا !
يجرى بأمر الله فى ملكوته لاخائفا أمرا ، ولا هيابا !
حتى اذا وافى سليمان القضا قمتم لدى خلفائه حجابا

غانية وكلب

مالَ تِيهاً وتَمطّى عَجَبا ليتَنى أدْرى لِهذا سببا
إيهِ يا «إنزاك» ما أطيبها عِيشةً أرخصتَ فيها الذّهبا
نِمْتَ فى حضنِ فتاةٍ مَهدتْ تحت جنبيك مِهاداً طيّبا
أَلقتِ الدّيباجَ فى أطوائِهِ وأحاطتْ بالحريرِ القصبا
نِعمةٌ تعلوكَ لا يعرفُها أى كلبٍ فى الكلابِ انتسبا

« ✡ »

سَلْ أباكَ الكلبَ عن مرقدِهِ رُبّما كانَ الحَصا والحَطبا
ربّما باتَ عليه جائعاً يعرقُ العظمَ . ويرجو العصبا
وتعافُ اللحمَ ما أطيبَهُ وبنُو عمكَ ماتُوا سَغَبا
أنتَ فى الحمّامِ مزهوٌّ بهِ بَينما عمُّكَ حكَّ الجرَبا
إنما الدُّنيا حظوظٌ للورَى هانئٌ فيها . . وَشاكٍ وَصبا

« ✡ »

ان ينالَ المرءُ مهما قد سعَى غيرِ ما كانَ عليه كتِبا
قَدْ قضَى اللهُ بهذا أزلا رضِىَ المرء بهِ أمْ غضِبا

« ✡ »

. ما لا يزالكَ ، الذى أعرفُهُ يكرم الأهلَ ويؤذى الغرَبا

obeikandl.com

والذى يرقص إمّا خطرت ... ربة البيتِ ويجرى طربا
والذى إن شامها مقبلةً ... أرقصَ الرأسَ وهزَّ الذنبا
شاركَ الإنسانَ فى صبوتهِ ... وأحبَّ الحبَّ .. حتى تعبا
مالهُ عاف طعاماً طيباً ... وإذا صُبَّ لهُ الماءُ أبى
آهِ . ما أوفاهُ للكفِّ التى ... علمتهُ فى سخاها الأدبا

« * »

راعه أن رآها شحبت ... وبراها الداءُ فى شرخ الصِّبا
سرطانٌ طافت الدنيا به ... لم تجدْ فى الكونِ منه مهربا
يالهُ داءً نضى عن أمِّهِ ... حلةَ الصَّبرِ ولم يرحمْ أبا
همزَ الغصنَ الذى كانَ نمى ... ومحا العودَ الذى كان ربا
وانطفا المصباح إلا شعلةً ... أوشكَ الزيت بها أن ينضبا

« . »

والقضا المحتومُ ما أهولهُ ... حينَ يمضى لا يملُّ الطلبا
دائناً يقرعُ باباً بيدٍ ... كلُّ حقٍّ عندها قد وجبا
لو تُردُّ الشمسُ من مغربها ... ما استطعنا أن نردَّ النوبا

« . »

ضاقت الدنيا بها فانطلقت ... تطلبُ الموتَ الذى عنها اختبى
ربِّ خذنى إننى أشقيتهم ... ذاقَ أهلى فى سقامى نصبا

obeikandl.com

ساعةً مرتْ. وما أهْـوَلَهـا تكـنتمَ الداءَ الذى شـغبا
ومضى الليل فلمْ تهدأ ولمْ تذق النومَ الذى قـد ذَهـبا
وغدا « إيزاكَ » إذْ يَرقبُهـا كلمـا أمْعـنَ فيها قـطّبـا

« ٠ »

نهـضَـت (زينات) فى زينتها لم تَدَع ثوباً لهـا منتخبـا
فى ثيـاب العرس إلا أنهـ عرس من فى عرسه قد نكبـا
تفـتـح الباب على مضـراعـه ثم تمشـى وهى تخشى الرقـبا
لا تمس الأرضَ من خِيفتها قـدمٌ خفّتْ وروحٌ وثـبـا
والظلامُ الجون إذْ يستـرُهـا عن عـيون الناس ألقى الحجبا
ليتنى أدرى الذى زُفّتْ لهُ هل حبيبٌ فى الزروع احتجبـا
هل فتىً خمّتْ إلى معتـزلـهِ فى الفضاء الرحـب أو بين الرُبـا

وقضى إيزاك أنْ يتبعهـا شرق اليأس بها أمْ غرّبـا
فرآهـا تنتحى ناحيةً أينعتْ زهراً وماجتْ قصبـا
وأتتْ من فورها ساقيةً فارتمتْ فيها كمنجـم غربـا

« ٠ »

جثمَ الكلبُ على حافتهـا ما رأى الحسناء إلا انتحبـا
هو يبكى بدموع جمدتْ من أسى فى قلبه قد نشبـا

إذ رآها جنة طافية ... موكب الحيتان فيها لعبا
عاد رب الحقل يسقى حقله ... فرأى فى الحقل كلباً أجنبا
شك فى الأمر فلما جاءه ... ورأى البئر مشى مرتعبا
ثم ولى ممعنا فى سيره ... ومن التهمة يجرى هربا
وجرى « إيزاك » فى أذياله ... كلما رام فراراً جذبا
وإذا الفلاح يمشى خلفه ... مبعداً فى خطوه مقتربا
فأتى البيت الذى فارقه ... منذ يومين فلما « هبيا »
« رجت » الدار على سكانها ... إذ روى الفلاح للقوم النبا
« نبأ » أسود ما أفجعه ... صعق البيت له واضطربا
شيعوها فى احتفال صاخب ... ثم عادوا يحملون الخشبا
كل دمع كفكفته سلوة ... تدرك الإنسان أنى ذهبا
خلق الإنسان من نسيانه ... كل دمع فاض منه كذبا
أيهم صام على جوعته ... لحبيب ذاق يوما عطبا
ذاك إيزاك على مضجعها ... يبسط الكف ويثنى الركبا
هده الجوع وأضناه الأسى ... وهو مازال لها مرتقبا
وقضى بعد ليال نحبه ... فقضى من حقها ما وجبا
عجب الناس له واحتفلوا ... بفقيد كان شيئاً عجبا
مات فى الحب .. وفاء للتى ... أكرمته وهو طفل ماحبا
قد قضى الأيام .. فى صحبتها ... كل عيش نال منه مأربا
فليجد فى ظلها راحته ... وليمت فى ظلها محتسبا
وليشقوا فى زوايا لحدها ... موضعاً يرقد فيه حقبا
ذلك النبل الذى أبسطه ... يرفع الكلب فيعلو الكوكبا